صِفَــةُ الطـائِفَـةِ المنصُــورةِ

التي يجبُ أنْ تُكثِّرَ سوادَها

تــأليــف

عبد المنعم مصطفى حليمة

أبو بصير الطرطوسي

إهـــــداء

- إلى كلِّ مَن خانته معلوماتُه .. فضلّ سواءَ السبيل .. وهو يحسب أنه على شيءٍ .. أو ممن يُحسنون صُنعاً!

- إلى الذين شتتت ولاءاتهم وانتماءاتهم أحزاباً وفِرَق، ورايات .. ما أنزل الله بها من سلطان ..!

- إلى الذين يُكثِّرون سوادَ الباطل في شيء ..!

- إلى الذين يسألون عن البديل .. وعن صفات الطائفة التي ينبغي تكثير سوادها .. والالتحاق بصفوفها ..!

- إلى الذين يُزكّون أنفسهم على الله .. ويتشبَّعون بما ليس فيهم ولا عندهم .. فيزعمون - زوراً - أنهم هم الطائفة المنصورة، أو منها..!

- إلى الأخفياء، الأنقياء، الأتقياء من أفراد الطائفة الناجية المنصورة .. الظاهرين على الحق .. أينما كانوا ..!

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الكتاب .. راجياً من الله تعالى أن يُحقق منه النفع للجميع .. وأن يكون لمن ضل طريق الحق .. سبب هداية ورشاد .. إنه تعالى سميع قريب.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ مقدمـة:

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾آل عمران:١٠٢.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾النساء:١.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾الأحزاب:٧٠-٧١.

أمّا بعد: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالِمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

وبعد: فقد كثرت . على الساحة الإسلامية . التجمعات والأحزاب والتكتلات التي كل منها تدعي . لنفسها دون غيرها . أنها على الحق الذي لا ريب فيه، وأن النصر والخلاص سيتحصل على يديها .. لا على يد أحدٍ غيرها .. وهي في الحقيقة ليست من الحق بشيء، ولا هي على نهج النبوة والسلف والصالح تسير..!!

فعكس ذلك الواقع نتائج سلبية على حياة الناس وعلى وتصوراتهم، ومواقفهم؛ فاضطربت عندهم الموازين، وتشتت ولاءاتهم وانتماءاتهم في أحزاب . مختلفة متناحرة . ما أنزل الله بها من سلطان، مما أدى إلى تعميق الخلاف والتنازع والفرقة بين الأخوة المتحابين في الله؛ فأوغرت في نفوسهم الحقد والبغضاء والحسد، حتى لا تكاد تجد اثنين إلا وللواحد منهما في نفسه شيء على الآخر .. بفعل تلك الأهواء والأحزاب والتكتلات .. وما تفرضه على الأتباع من ولاءات باطلة ومتناقضة !!

وكذلك فإن تعددية الأحزاب والجماعات المختلفة المشارب والمصادر، قد أوجدت عند الكثير من الناس الشك والريب تجاه جميع التجمعات المعاصرة . الصالحة منها والباطلة . مما أدى ذلك بهم إلى أن يؤثروا الاعتزال والانزواء . من دون أن يفرقوا بين من يستحق الولاء والقدر الذي يستحقه من الولاء، وبين من يستحق البراء . مشككين بجدية وإخلاص جميع الجماعات القائمة على الساحة الإسلامية .. والجميع عندهم متهم ..!

وهذا الكتاب" **صفة الطائفة المنصورة التي يجب أن تكثر سوادها** "، نلقي فيه الضوء على صفة الطائفة الناجية المنصورة . كما جاءت صفاتها في الكتاب والسنة . التي يجب على كل مسلم أن يكون منها، وأن يكثر سوادها ويخلص في الذود عنها .. فيكون له . إن شاء الله . بمثابة المشعل الذي ينير ظلمة الطريق، والميزان

الذي به يعرف موقع الأحزاب من الحق، ومدى قربها منه أو بعدها عنه .. ومعرفة الذي ينفع منها من الذي يضر ولا ينفع.

وهو أيضاً يعين المسلم على معرفة الحق وأهله، فيسرع إلى نصرتهم وتكثير سوادهم، والانضمام إلى صفوفهم .. كما ويعينه على معرفة الباطل وأهله، فيجافيهم ويعاديهم، وينفر منهم بحسب قربهم أو بعدهم عن صفات الطائفة الناجية المنصورة .

هذا الكتاب نذير لكل مسلم يكون ظهيراً للباطل وأهله .. يكثر سوادهم ولو بظلٍ أو فعل أو قول .. على المسلمين .. فيكون شريكاً لهم في الإثم والعدوان وهو يدري أو لا يدري ..!

كما في الحديث الذي يرويه ابن مسعود مرفوعاً:" من كثر سواد قومٍ فهو منهم، ومن رضي عمل قومٍ كان شريك من عمل به "[١].

وقال ﷺ:" لا يحب رجل قوماً إلا جعله الله معهم" [٢]. في الدنيا والآخرة.

وقال ﷺ:" حليف القوم منهم "[٣]. مصداق ذلك في كتاب الله ﷻ قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾المائدة:٥١. أي هو مثلهم في الكفر، وشريك لهم في الإثم والوزر[٤].

وحتى تكون هذه الرسالة حجة في موضوعها، اجتهدت في أن أثبت صفات الطائفة الناجية المنصورة كما وردت صفاتها في الكتاب والسنة، ودلت عليها نصوص الشريعة، متتبعاً آثار وفهم السلف الصالح .. سائلاً الله تعالى التوفيق والقبول .. وأن يلهمني الحق والصواب ويجنبني الهوى والزلل، ما ظهر منها وما بطن .. وأن يجعلنا . بمنه وكرمه ورحمته . من أهل الطائفة الناجية المنصورة في الدنيا والآخرة، إنه تعالى سميع قريب.

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

١ صفر/ ١٤١٤ هـ.
٢١ تموز/ ١٩٩٣ م.

عبد المنعم مصطفى حليمة
أبو بصير

* * *

---

[١] أخرجه أبو يعلى، فتح الباري: ١٣/ ٣٧.

[٢] رواه أحمد، والنسائي، والحاكم، صحيح الجامع الصغير: ٣٠٢١.

[٣] رواه الطبراني ، صحيح الجامع الصغير:"٣١٥٦".

[٤] فإن كانوا كفاراً فهو بموالاته ونصرته لهم يكون كافراً مثلهم، وإن كانوا فساقاً غير كفار، فهو يكون فاسقاً مثلهم .. فحكمه حكمهم.

ـ وجـود الطـائفـة المنصـورة:

قبل أن نخوض في الحديث عن صفات الطائفة الناجية المنصورة، وضرورة تكثير سوادها على من سواها، لا بد أولاً من أن نثبت وجود هذه الطائفة، وشرعية وجودها.

فأقول: قد تواترت الأدلة الصحيحة التي تدل على وجود الطائفة المنصورة، وعلى استمرارية وجودها إلى يوم القيامة، وأنها طائفة منصورة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى تقوم الساعة .. منها ما جاء في صحيح مسلم:

عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ".

وعن المغيرة بن شعبة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون ".

وعن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ، أنه قال:" لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة ".

وعن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ".

وعن عمران بن هانئ قال: سمعت معاوية على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس"[٥].

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق،ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال "[٦].

وعن سلمة بن نفيل الكندي، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أذال الناس الخيل[٧]، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها! فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال:" كذبوا، الآن، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[٨].

---

[٥] جميع ما تقدم من أحاديث قد خرجها مسلم في صحيحه، وأحاديث الطائفة المنصورة مخرجة في الصحيحين، والسنن وغيرها من كتب الأحاديث.

[٦] صحيح سنن أبي داود:"٢١٧٠".

[٧] أي استخفوا بها وتركوها.

[٨] صحيح سنن النسائي: ٣٣٣٣ .

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة "[٩].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال:" لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها "[١٠].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه قال: قام معاوية خطيباً فقال: أين علماؤكم؟ أين علماؤكم ؟!

سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس، لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم "[١١].

وعن أبي عِنَبَة الخولاني، وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته"[١٢].

وغيرها كثير من الأحاديث والنصوص التي تدل على وجود هذه الطائفة المنصورة، وأنهم ظاهرون على الحق .. وأنهم منصورون لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم .. وإلى يوم القيامة.

وهذا أمر مما لا شك فيه له أثره الطيب على نفوس المؤمنين المستضعفين في الأرض؛ حيث يبعث في نفوسهم الأمل واليقين بنصر الله تعالى ووعده، وأن العاقبة للمؤمنين الصادقين . ولو بعد حين . مهما انتفش الباطل وتعاظم جنده وأمره.

وفيه كذلك بشرى سوء لجميع طواغيت الأرض الذين يناصبون الإسلام والمسلمين الحرب والعداء .. بأن كيدهم وحربهم لا يجدي لهم نفعاً .. وأنه مردود عليهم وفي نحورهم .. وأنهم مهما حاولوا فإن النصر لكلمة الله وجنده .. ولو بعد حين.

قد ناصب الإسلام والمسلمين الحرب والعداء . عبر مدار الأزمان . آلاف الطواغيت والجبابرة .. وسُيرت لحربه آلاف الجيوش الكافرة .. فأين هم .. وأين أموالهم الطائلة التي أنفقوها للصد عن سبيل الله .. وأين دين الله .. لو كانوا يُبصرون؟!

قد ذهبوا وهلكوا جميعاً حطباً لنار جهنم وبئس المصير .. ودين الله تعالى في ازدياد ورفعة وتوسع وانتشار في الأمصار وبين العباد .. رغم أنف الذين كفروا!

ألا يدل ذلك على أن يداً قادرة قد تكفلت بحفظ ورعاية ونصرة هذا الدين ..؟! بلى .. لو كانوا يعلمون!

---

[٩] صحيح سنن ابن ماجه:٦.

[١٠] صحيح سنن ابن ماجه:٧.

[١١] صحيح سنن ابن ماجه:٩.

[١٢] صحيح سنن ابن ماجه:٨.

قال تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾التوبة:٣٢.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾الأنفال:٣٦.

ـ شبهة ورد:

قد يقول قائل: كيف التوفيق بين هذه الأحاديث التي تدل على بقاء الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، وبين الأحاديث التي تدل على أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، وحتى لا يُقال في الأرض الله الله[١٣] ؟

الجواب: أن الساعة إذا جاءت أشراطها الكبرى ودنا وقتها الأخير، أرسل الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الخلق عليهم تقوم الساعة، ولعل هذا هو المراد من قوله ﷺ:" حتى يأتي أمر الله " فيكون أمر الله هو الريح التي تقبض أرواح المؤمنين.

كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان إلا قبضته " مسلم.

وعن عبد الرحمن بن شُماسَة المهري قال: كنت عند مسلمة بن مخلَّد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم. فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة: يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله. فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك "، فقال عبد الله: أجل ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة " مسلم.

فيكون المراد من قوله ﷺ:" إلى يوم القيامة " أي " أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي في القرب، والله أعلم "[١٤].

---

[١٣] كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه:" لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ". وقال ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض الله الله ".

[١٤] قاله النووي في شرحه لصحيح مسلم:٢/١٣٢.

ـ صفات الطائفة المنصورة:

الطائفة المنصورة ليست حكراً لأحد دون أحد، أو لجماعة دون جماعة، تخضع لأهواء ورغبات وتقسيمات أرباب الجماعات أو الأحزاب .. وإنما هي طائفة ربانية تُعرف بصفات وخصائص دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، فمن اتصف بها فهو من الطائفة الظاهرة المرضية المنصورة رضي من رضي وأبى من أبى، ومن لم يتصف بتلك الصفات فهو ليس من الطائفة المنصورة وإن زعم ـ بلسانه ألف مرة ـ أنه منها، ومن أهلها ..!

فالعبرة فيمن يكون من الطائفة المنصورة ممن لا يكون منها تكون بقدر التحلي بما تتصف به الطائفة المنصورة من صفات وخلال .. وليس بمجرد زعم الانتماء أو الانتساب .. والتشبع بما لا يُعطاه المرء .. وبما ليس عنده ولا فيه!

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾الصف:٢-٣.

والدعاوى إن لم يقيموا عليها بيناتٍ فصحبُها أدعياء

والمرء يمكن أن يتصف ببعض صفات الطائفة المنصورة .. ويُعرف بصفة أكثر من الأخرى .. فحينئذٍ يُقال عنه: فيه بعض صفات الطائفة المنصورة .. وعلى قدر تحليه بتلك الصفات.

فعناصر الطائفة المنصورة يتفاوتون فيما بينهم قرباً أو بعداً عن كمال صفات الطائفة المنصورة بقدر تحلي كل أحدٍ منهم بتلك الصفات .. وعلى قدر هذا التفاوت فيما بينهم يتفاوتون من حيث قوة الإيمان أو ضعفه.

وإليك الآن أهم وأبرز صفات الطائفة المنصورة .. كما وردت في الكتاب والسنة، نختصرها في النقاط التالية:

١- الصفة الأولى: الاتباع لا الابتداع .. والاهتداء بفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة[١٥].

من أخص صفات الطائفة الظاهرة المنصورة أنهم يسيرون على منهاج النبوة؛ صراط الله المستقيم .. لا تستلفت أنظارهم الأهواء والسبل المتفرقة التي أحدثها المشركون والمبتدعون، وهم في جميع شؤون حياتهم الدينية والدنيوية يقتدون بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه . رضوان الله تعالى عليهم . فشأنهم دائماً الإتباع والإقتداء بخير من سلف، وليس الابتداع والإحداث في الدين.

---

[١٥] السلف الصالح: هم الصحابة . رضوان الله عليهم . ومن كان على طريقتهم ونهجهم من التابعين لهم في القرون الثلاثة الأولى، والمشهود لها بالخيرية.

تجد هذه الصفة بارزة في وصفه ﷺ إياهم أنهم " على الحق"، وأنهم " قائمين بأمر الله"، والحق وأمر الله محصوران في الكتاب والسنة على فهم صالحي سلف الأمة، وهو الدين الصحيح الذي يجب أن يتبع، وما سوى ذلك فهو من المشاقة للرسول ﷺ واتباع لغير سبيل المؤمنين.

كما قال تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال:١٣.

أي من يخالف الله ورسوله؛ فيكون في شقٍّ، وشرع الله تعالى . المتمثل في حكم الله ورسوله . في شق آخرن فإنه لن يفلت من عقاب الله الشديد .. وسيطاله العذاب في الدنيا والآخرة.

وكذلك قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾.

وأولى الناس بصفة " المؤمنين" الواردة في هذه الآية الكريمة هم الصحابة . رضوان الله عليهم . فهم الذين اصطفاهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ونصرة دينه، والجهاد مع رسوله .. وعن طريقهم نقل الدين لمن بعدهم، فكانوا الأمناء الأوفياء لما استأمنهم الله ورسوله عليه؛ حيث أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ..!

وهم كذلك أفقه الناس بمراد الشارع، لقربهم من النبي ﷺ، ولدرايتهم بأسباب نزول آيات الذكر الحكيم، لذا كان من يخالفهم ويتبع غير سبيلهم، يستحق من الله هذا الوعيد الشديد؛ وهو أن يصلى نار جهنم وساءت مصيراً.

قال ابن تيميه: فإنهما متلازمان فكل من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكل من اتبع سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى. وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول، وإن كان ما أجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نص عن الرسول فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فإنها مما بين الله فيه الهدى، ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر، كما يكفر مخالف النص البين[١٦].

ونحو ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾يوسف:١٠٨.

فالصحابة هم الذين تتحقق فيهم صفة الاتباع والانقياد للنبي ﷺ أكثر من غيرهم، وهم أولى الناس دخولاً في قوله تعالى:﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وبالتالي فهم أولى الناس بصفة الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم وفقه، ومن كان كذلك فإنه لحري بمن جاء بعدهم أن يتحروا طريقتهم ومنهاجهم، وفهمهم لمسائل الدين .. وأن لا يلتفتوا عنهم لمن شذ عن فهمهم وطريقتهم من المتأخرين.

---

[١٦] الفتاوى: ٧/ ٣٨.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾، قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكنز الإيمان، وجند الرحمن.

وقال عبد الله بن مسعود: من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[١٧].

وكذلك قوله تعالى:﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾البقرة:١٣٧.

ففي الآية دلالتان، أولهما: أن الهداية المطلقة التي تؤدي إلى النجاة وإلى خيري الدنيا والآخرة، تكمن فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من هدى وإيمان[١٨].

فالإيمان محصور فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .. فلا إيمان إلا إيمانهم ولا حقّ إلا الحق الذي كانوا عليه .. وطالب الهداية والنجاة بحق لا بد له من أن يلتمس الإيمان الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

أما الدلالة الثانية للآية: هي وجوب الإقتداء بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من إيمان، وإلا فالبديل هو الشقاق والعذاب .. في الدنيا والآخرة.

وفي السنة، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار. وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار"، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال:" الجماعة "[١٩].

وفي رواية عند الترمذي، من حديث عبد الله ب عمرو:" وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة "، قال: من هي يا رسول الله؟ قال" ما أنا عليه وأصحابي "[٢٠].

---

[١٧] تفسير البغوي:٢/ ٤٥٣.

[١٨] الإيمان: هو مجموع ما أمر به الإسلام كما في الحديث:" الإيمان بضع وسبعون شعبة " وهو عند السلف: اعتقاد وقول وعمل، يزيد وينقص.

[١٩] صحيح سنن ابن ماجه:٣٢٢٦.

[٢٠] صحيح سنن الترمذي:٢١٢٩.

فجاء هذا الحديث مفسراً لما قبله، حيث دل أن الفرقة الناجية من بين الفرق هي" الجماعة "، والجماعة التي يجب أن يُكثر سوادها هي التي تكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من الدين والإيمان، وإن قل عددها فالحق لا يُقاس بالكم، وإنما بمدى مطابقته وموافقته لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ، لعمرو بن ميمون: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ.

قال ابن القيم في أعلام الموقعين: اعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض ا– هـ.

ومنه يعلم أن الجماعة تعرف بالحق الذي هي عليه، وليس بكثرة أفرادها وأنصارها، فإن السنة دلت أن الحق بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، والقابض على دينه منهم يومئذ كالقابض على جمر من نار، والغرباء الذين أثنى النبي ﷺ عليهم خيراً هم :" ناس صالحون قليل في ناس سوءٍ كثير، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم "[٢١].

وقال ﷺ:"ما صُدق نبي من الأنبياء ما صُدقت؛ إن من الأنبياء من لم يُصدقه من أمته إلا رجل واحد" مسلم.

وقال ﷺ: يقول الله تعالى: يا آدم أخرج بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد " البخاري.

مصداق ذلك في كتاب الله قوله تعالى:﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾يوسف:١٠٦.

وقال تعالى:﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾الأنعام:١١٦.

قال حسن البصري: فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكونوا كذلك ا– هـ.

---

[٢١] أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة : ١٦١٩.

قلت: ومنه تعلم فساد المبدأ الذي تقوم عليه الديمقراطية؛ والذي تتنادى الشعوب والحكومات لتطبيقه، ألا وهو مبدأ تقديس حكم الأكثرية .. والرضى بما تجتمع عليه أكثر الأصوات بغض النظر عن ماهية هذا الشيء الذي تجتمع عليه هل هو من الحق أم من الباطل .. وهل هو موافق لكتاب الله وسنة رسوله أم أنه مخالف ..؟!

ومن الأحاديث كذلك التي تدل على وجوب الاقتداء بفهم السلف الصالح، والتماس هديهم وطريقتهم دون غيرهم قوله ﷺ:" أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، عليكم بالجماعة و إياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة"[٢٢].

وقال ﷺ:" سترون من بعدي اختلافاً شديداً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة "[٢٣].

فدل أن الملاذ والنجاة عند اشتداد الفرقة والاختلاف، وظهور الأهواء والفتن، هو بالتمسك بسنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .. ونبذ كل ما خالف ذلك.

وقال ﷺ:" قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم ما عرفتم في سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ"[٢٤].

وقال ﷺ:" اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر "[٢٥].

وقال ﷺ:" خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"متفق عليه.

وقال:" احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب ".[٢٦].

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ:" خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم " قال: ولا أعلم أذكر الثالث أم لا. " ثم ينشأ أقوام، يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويفشو فيهم السمن " [٢٧].

---

[٢٢] أخرجه ابن ماجه والترمذي، صحيح سنن الترمذي:١٧٥٨.

[٢٣] صحيح سنن ابن ماجه : ٤٠.

[٢٤] صحيح سنن ابن ماجه:٤١.

[٢٥] صحيح سنن ابن ماجه: ٩٧.

[٢٦] أخرجه ابن ماجه وغيره، السلسلة الصحيحة : ١١١٦.

[٢٧] رواه مسلم وغيره، صحيح سنن الترمذي:١٨١٠.

وفي رواية:" ثم يأتي من بعدهم قوم، يتسمَّنون ويحبون السمن [٢٨] يعطون الشهادة قبل أن يسألوها".

وقال تعالى في الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين:﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة:١٠٠.

وقال تعالى:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ الفتح:٢٩.

فقوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ أي من الصحابة.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾الأنفال:٧٢. والذين هاجروا هم الصحابة من المهاجرين، والذين نصروا هم الصحابة من الأنصار الذين نصروا من هاجر إليهم من المؤمنين.

وقال تعالى:﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾التوبة:١١٧.

وقال:﴿ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾الحديد:١٠.

وقال تعالى:﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

[٢٨] أي يطلبون أنواع الطعام المختلفة الألوان والمذاق التي تؤدي بهم إلى السمنة والتخمة.

لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر: ١٠.

وقال:﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ الفتح:١٨. والذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة يوم الحديبية يزيد عددهم عن ألف وأربعمائة صحابي.

وفي السنة، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة " رواه مسلم. وفي رواية:" إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد . إن شاء الله . ممن شهد بدراً والحديبية " رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيءٌ، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ :" لا تسبوا أحداً من أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مُد[٢٩] أحدهم ولا نصيفه" متفق عليه.

فإذا كان النبي ﷺ ينهى خالداً . وهو صحابي جليل؛ لكن تأخرت صحبته إلى ما بعد صلح الحديبية . أن يسب عبد الرحمن بن عوف الذي أسلم قبل الفتح وأنفق وقاتل في سبيل الله، فهو بذلك أعظم منه درجة، وأولى منه بحق الصحبة .. فكيف إذاً بمن ليس من الصحابة ولا من التابعين[٣٠] ؟!

لا شك أنه أولى له .. ثم أولى له بأن يمسك عن الخوض أو الطعن بأصحاب النبي ﷺ .

وفي الحديث:" إذا ذكر أصحابي فأمسكوا "[٣١]. أي أمسكوا عن الخوض فيهم بسوء ولا تسترسلوا في الكلام عنهم بطريقة لا تليق بفضلهم ومكانتهم العظيمة.

---

[٢٩] المد: مكيال معروف تقدر به الأشياء؛ قُدر بحفنة من كفّي الرجل المعتدل الكفين. والنصيف: هو النصف.

[٣٠] كما يفعل الشيعة الروافض عليهم من الله ما يستحقون، حيث أن دينهم يقوم على أساس بغض الصحابة وشتمهم والطعن بهم!

وفي صحيح مسلم، عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار:" لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله ". وفي رواية:" لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر".

قلت: إذا كان الإيمان ينتفي عن رجل يبغض الأنصار، فكيف بمن يبغض الأنصار والمهاجرين والتابعين لهم بإحسان ويشتمهم ويلعنهم ويكفرهم، ويكفر من يواليهم ويترضى عليهم .. كما تفعل الرافضة الإثنى عشرية؛ طائفة الشقاق والنفاق ..؟! لاشك أنهم أولى بالكفر والنفاق، وانتفاء الإيمان.

وفي الحديث الذي يرويه ابن عباس مرفوعاً:" من سبَّ أصحابي، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ". [السلسلة الصحيحة: ٢٣٤٠].

[٣١] أخرجه الطبراني، صحيح الجامع: ٥٤٥.

وعن ابن عباس ﷺ قال:" لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة . يعني مع النبي ﷺ . خير من عمل أحدكم أربعين سنة "[٣٢] . وفي رواية :" خيرٌ من عبادة أحدكم عمُرَه ".

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ [٣٣] قال:" إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلبَ محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً، فهو عند الله سيء "[٣٤].

ومما تقدم يعلم خطأ مَن يقدم فهم الخلف على فهم السلف، ويقول: عقيدة السلف أسلم، أما عقيدة الخلف فهي أحكم ..! مشيراً إلى موقفهما المتباينين تجاه عقيدة الأسماء والصفات؛ حيث أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان يؤمنون بأسماء الله تعالى وصفاته كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، بينما كثير من الخلف . بحجة التنزيه، وبحكم انشغالهم بعلم الكلام ومذاهبه . تراهم يعطلون الصفات ويؤولونها على غير ظاهرها ومدلولها الشرعي، كقولهم في قوله تعالى: ﴿ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي استولى وقهر، ففروا من صفة مثبتة في الكتاب والسنة إلى صفة هي من بنات عقولهم وأهوائهم.

والشاهد هنا أن يدرك القارئ مقصودهم من العبارة، بأن الخلف أحكم من السلف، وليس مرادنا مناقشة عقيدة الخلف، فهذا له موضع آخر [٣٥].

---

[٣٢] أخرجه أحمد وغيره، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في تخريجه لأحاديث شرح العقيدة الطحاوية. قلت: كلام ابن عباس ﷺ موجه للمسلمين في زمانه، لمن ليس لهم حظ صحبة مع النبي ﷺ. وإذا كان هذا شأن التابعين قياساً للصحابة، فكيف بمن جاء بعدهم من المتأخرين، وبخاصة في زماننا هذا..؟!

[٣٣] ابن مسعود هو الذي قال فيه النبي ﷺ:" تمسكوا بعهد ابن مسعود". رواه الترمذي وغيره، السلسلة الصحيحة: "١٢٣٣".

[٣٤] قال الشيخ ناصر في تخريج " الطحاوية": حسن موقف، أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما بسند حسن. قلت: مصداق ذلك في الحديث الذي يرويه أنس، قال: مر على النبي ﷺ بجنازة، فأثني عليها خيراً، وتتابعت الألسن بالخير، فقالوا: كان . ما علمنا . يحب الله ورسوله، فقال نبي الله ﷺ:" وجبت وجبت وجبت "، ومر بجنازة فأثني عليها شراً، وتتابعت الألسن لها بالشر، فقالوا: بئس المرء كان في دين الله، فقال نبي الله ﷺ:" وجبت وجبت وجبت"، فقال عمر: فدى لك أبي وأمي، مر بجنازة فأثنى عليها خيراً، فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومر بجنازة فأثنى عليها شراً، فقلت وجبت وجبت وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ:" من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيت عليه شراً وجبت له النار، الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض ". أخرجه البخاري ومسلم " أحكام الجنائز " للشيخ ناصر.

[٣٥] انظر كتابنا" تهذيب شرح العقيدة الطحاوية ".

ولكن هذا القول: بأن الخلف أحكم من السلف، لا بد من أن نثبت فساده وبطلانه[٣٦]، وذلك من أوجه:

منها: أن هذا القول يتضمن التكذيب والرد للنصوص الشرعية الصحيحة الدالة على فضل الصحابة على من بعدهم، وفضل الذين بعدهم على من بعدهم .. وفضل من سار على نهجهم ممن جاء بعدهم على من أحدث في الدين وابتدع !

ومنها: أن هذا القول فيه انتقاص صريح من قدر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وطعن خفي بهم .. وقد تقدم نهي النبي ﷺ عن سب الصحابة والخوض فيهم بما لا ينبغي ولا يليق بحقهم وفضلهم!

ومنها: أن الصحابة . سلفنا الصالح . قد رضي الله عنهم، وأثنى عليهم خيراً في كتابه العزيز، وكثير منهم مشهود لهم بالجنة بأعيانهم[٣٧] .. فأين الخلف من هذه الخاصية الفريدة ..؟!

والله تعالى إذ يرضى عن الصحابة، فهو يرضى عنهم لسلامة دينهم واعتقادهم، ولاستقامتهم على المنهج السوي الصحيح، وليس لذواتهم ولنسبهم، كما في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾الحجرات:١٣.

وقال ﷺ:" إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي، وليس كذلك إن أوليائي منكم المتقون، من كانوا وحيث كانوا "[٣٨]. وهذا المعنى متواتر في دين الله، والحمد لله.

وإذا كان الدين الذي كان عليه الصحابة هو السبب في رضى الله عليهم، دل أن مخالفتهم فيما كانوا عليه من التدين والفهم والاعتقاد هو مدعاة لغضب الله وليس رضاه، والمسلم العاقل هو الذي ينشد ما يرضي الله تعالى عليه وليس ما يسخطه ويغضبه ﷻ .

ومنها: أن الشارع أمر بالاقتداء بالسلف الصالح، كقوله ﷺ:" عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ "، وقوله ﷺ:" أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم "، وقوله ﷺ:" احفظوني في أصحابي " وأين الخلف . وبخاصة منهم من خالف السلف الصالح في الفهم والمنهج . من كل ذلك ..؟!

---

[٣٦] لأن هذه المقولة تكاد أن تكون عند المتأخرين قاعدة من قواعد أصولهم؛ على أساسها يقدمون فهم الخلف على فهم السلف، ويردون الآثار السلفية .. ويقوم مجمل تصورهم العقدي والفقهي، لذا إثبات بطلانها هو إثبات لبطلان كل ما بني على أساسها، لأن ما بني على باطل فهو باطل.

[٣٧] المعروف عند عامة الناس أن المبشرين بالجنة من الصحابة هم عشرة فقط، وهذا غلط وهو بخلاف النصوص الصحيحة التي دلت أن كثير من الصحابة . غير العشرة . مبشرون بالجنة، ويكفي في ذلك قوله ﷺ:" لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة "، والذين بايعوا تحت الشجرة يزيدون عن ألف وأربعمائة من الصحابة، كما تقدم.

[٣٨] رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

ومنها: أن من عاصر نزول الوحي، وأسباب نزول كل آية، ورافقوا النبي ﷺ في حله وترحاله، وتلقوا العلم . مباشرة . منه غضاً نديّاً، لاشك أنهم هم الأفقه والأعلم بمراد الشارع من غيرهم ممن فاتتهم هذه الخاصية العظيمة.

ومنها: أن الصحابة . كما تقدم في أدلة عديدة . حبهم إيمان ودين، وبغضهم كفر ونفاق .. فأين الخلف، وبخاصة منهم من خالف نهج السلف، من ذلك ..؟!

لأجل هذه الأوجه نقول: إن هذه المقولة" الخلف أحكم من السلف "، هي عين الظلم والجور، وهي اعتداء صريح على من خصهم الله تعالى لنصرة دينه ونبيه، وبالتالي لا يجوز للمسلم أن يتفوه بها بصيغة الرضى والمدح.

والذي نجزم به ونلقى الله عليه: أن السلف الصالح رضوان الله عليهم هم الأسلم والأحكم والأفقه والأتقى لله ﷻ، والخلف قيمتهم تأتي من جهة إقتدائهم والتزامهم بمنهج وفهم السلف، وعلى قدر التزامهم بذلك .. ومن تطاول منهم على السلف الصالح بشيء من التعقيب والرد والاعتراض . بغير سلطانٍ من الله تعالى . فقد حط من قدره بقدر ما تطاول عليهم، وهذا الاعتقاد والتصور هو من أبرز ما تتميز به الطائفة الناجية المنصورة عن غيرهم من الطوائف والجماعات.

وكون اتباع الكتاب والسنة ـ من دون تعصب لما يخالفهما من أقوال الرجال والمذاهب ـ هو من أبرز ما يميز الطائفة المنصورة، فإن ذلك يظهر من وجهين:

الوجه الأول: يمكن في وصف النبي ﷺ لهم بذلك، فهم " يقاتلون على أمر الله " و" وظاهرين على الحق " والدين قائم بهم يقاتلون الناس عليه، وهم " يقاتلون على الحق " و " قائمة بأمر الله " وغير ذلك من الصفات التي تجمع على أنهم على الدين الصحيح الذي يرضي الله ورسوله؛ وهو الدين الذي جاء في الكتاب والسنة .. قال الله .. قال الرسول، مع مراعاة فهم السلف الصالح لنصوص الوحي كما تقدم.

أما الوجه الثاني: فإنه يكمن في أن مخالفة الكتاب والسنة يعتبر من أكبر الكبائر، ولربما يؤدي بصاحبه إلى الكفر والخروج من دائرة الإسلام [٣٩]، وهذا أمر أبعد ما تكون عنه الطائفة المنصورة، فحاشاهم

---

[٣٩] مخالفة الكتاب والسنة: منه ما يكون عن اجتهاد وغير قصد، وهذا صاحبه يؤجر إن كان من ذوي الاجتهاد، كما قال ﷺ في " الصحيحين " : " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ".

ومنه ما يكون معصية دون الكفر: وذلك عندما يقع المرء في المخالفة . في غير مسائل الشرك الأكبر . عن ضعف ونزوة من غير استحلال، ولا تحسين .. ومع اعترافه في الوقوع في الخطأ والتقصير.

ولا يُشترط الاستحلال أو التحسين، أو الاعتراف بالخطأ عند وقوعه في الشرك الأكبر، أو الكفر البواح؛ إذ الكفر يكون كفراً لذاته سواء ضُمّ إليه الاستحلال القلبي أم لم يُضم.

ومنه ما يكون كفراً مخرجاً من الملة: وهو الذي يقع في المخالفة عن علم وقصد مستحلاً لمخالفته، أو مزيناً لها راضياً بها، وكذلك إذا كانت مخالفته ناتجة عن جحود للمشروع أو عن إعراض وكبر وعناد، أو عن استهزاء واستخفاف بأمر الله

أن يقعوا في ذلك عن علم وقصد، ولو وقعوا في شيء من المخالفة .. فهذه المخالفة لا تتحول إلى منهج يتبعونه، ويدعون إليه .. فهم اكتسبوا صفة نصر الله لهم لقيامهم على أمر الله ونصرة دينه، فإذا انتفى عنهم ذلك كان لزاماً أن ينتفي عنهم نصر الله وكذلك مسمى الطائفة الظاهرة المنصورة.

كما قال تعالى:﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ سورة محمد: ٧. مفهوم الآية: أي إن لم تنصروا الله . بالتزام دينه وأوامره . لا ينصركم، وهو كقوله ﷺ في الحديث الصحيح لابن عباس: "احفظ الله يحفظك " أي إذا لم تحفظ الله تعالى في حدوده بحيث تأتمر بما أمر وتنتهي عما نهى وزجر، لا يحفظك الله مما لا ترغب أن ينزل بساحتك من خطوب ومصائب، وفتن.

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ النساء:٥٩ .

قال ابن القيم: قوله ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقّه وجله، جليَّهُ وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله[٤٠] بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافياً لم يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع.

ومنها:أن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته.

ومنها: أنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر[٤١].

وكذلك قوله تعالى:﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ النساء:٦٥.

قال ابن كثير في التفسير ١/٥٥٣: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ا– هـ.

وقال ابن القيم: أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج، وهو ضيق الصدر، وتنشرح

وأمر رسوله، أو عن كره وبغض لشرع الله ﷻ، فكل هذه الأوجه إذا وقعت المخالفة بسببها أو بسبب واحد منها، فإن صاحبها يكفر ويخرج من دائرة الإسلام إن كان قبلها من المسلمين، والمسألة قد أوفيناها بحثاً بأدلتها الشرعية في كتابنا " قواعد التكفير " فانظره إن شئت.

[٤٠] لعل الصواب: وسنة رسوله.

[٤١] أعلام الموقعين: ١/ ٤٩– ٥٠.

صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الإنفساح وتقبله كل القبول ، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة، وانتفاء المعارضة والاعتراض[٤٢].

وفي قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾آل عمران:٣١. قال ابن كثير: هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله[٤٣].

وقال تعالى:﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أو يصيبهم عذاب أليمٌ﴾ النور:٦٣.

قال الإمام أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو:﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾النور:٦٣.

وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية:﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ النساء:٦٥.

وقيل له: إن قوماً يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان، فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وتدري ما الفتنة؟ الكفر، قال الله تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾.فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي!![٤٤].

وكذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾الحشر:٧.

قال ابن تيميه رحمه الله تعالى: فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، فليس لأحد من المشايخ والملوك والعلماء والأمراء والمعلمين وسائر الخلق خروج عن ذلك، وكل من أمر بأمر كائناً من كان عرض على الكتاب والسنة، فإن وافق ذلك وإلا رد، كما جاء في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال:" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[٤٥]، أي فهو مردود.

وفي قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ الحجرات:٢.

---

[٤٢] التبيان في أقسام القرآن:٢٧٠.

[٤٣] التفسير: ١/ ٣٦٦.

[٤٤] الصارم المسول لابن تيمية:٥٦.

[٤٥] الفتاوى: ٢٨/ ٢٤.

قل ابن القيم: فإذا كان رفع صوتهم سبباً لحبوط أعمالكم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه، أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم؟![٤٦].

وفي السنة فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" تركت فيكم أمرين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنتي ".

وقال ﷺ:" أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبداً "[٤٧].

وقال ﷺ :" القرآن شافعٌ مُشفَّع، وماحِلٌ مُصدَّقٌ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار"[٤٨].

وقال ﷺ:" كتاب الله، هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض "[٤٩].

وقال ﷺ:" يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل. فما وجدنا فيه حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمنا، ألا ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله"[٥٠].

وقال ﷺ:" من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله" متفق عليه.

وغيرها كثير من النصوص التي تدل على وجوب اتباع الكتاب والسنة والتحاكم إليهما من غير تعقيب أو استدراك أو اعتراض أو تقديم بين يدي الله ورسوله بقول أو فهم، وهذا من لوازم الإيمان وشروط صحته.

وشاهدنا من جميع ما تقدم أن صفة اتباع الكتاب والسنة وفهمهما على النهج الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، هي من أبرز وأهم صفات الطائفة الظاهرة المنصورة التي تميزها بها عمن سواها، كما أن جميع صفات الطائفة المنصورة الأخرى هي مستمدة من هذه الصفة، وتابعة لها، وتعتمد عليها اعتماداً رئيسياً.

* * *

---

[٤٦] أعلام الموقعين : ١/ ٥١.

[٤٧] رواه الطبراني، صحيح الجامع الصغير: ٣٤.

[٤٨] السلسلة الصحيحة: ٢٠١٩.

[٤٩] السلسلة الصحيحة: ٢٠٢٤.

[٥٠] صحيح سنن ابن ماجه: ١٢. قلت: صدق رسول الله ﷺ .. فها نحن في هذا الزمان نُبتلى بطائفة تُسمي نفسها بالقرآنيين .. يردون السنة ولا يقبلون إلا القرآن الكريم .. ويقولون الحجة بيننا وبينكم القرآن فقط .. فما حلله القرآن حللناه، وما حرمه القرآن حرمناه .. وما أثبته القرآن أثبتناه، وما نفاه نفيناه .. منكرين بذلك السنة !!

وفريق آخر من الفساق والعصاة ألفت نفوسهم التفلت من قيود الشرع .. تنادوا فيما بينهم أننا لا نحرم إلا ما حرمه القرآن .. رغبة منهم في الفسوق والعصيان !

٢ ـ الصفة الثانية: الجهاد في سبيل الله.

وهي الصفة الثانية من صفات الطائفة الظاهرة المنصورة، وهي صفة تكاد تُعرف بهم ويعرفون بها، ملازمة لهم ملازمة الظل للظليل، لا تنفك عنهم في أي حال من الأحوال، وإذا ما حيل بينهم ـ لظرف طارئ ـ وبين الجهاد في سبيل الله، ترى همهم وشغلهم الشاغل العمل من أجل إزالة هذا الحائل والمانع، ليستأنفوا القتال والجهاد في سبيل الله من جديد.

تراهم يتتبعون الثغور والجبهات .. فإن أغلق ثغر .. فتحوا ثغراً آخر لإحياء فريضة الجهاد في سبيل الله.

تظهر هذه الصفة فيهم ظهوراً جلياً واضحاً . يخرس ألسنة كل جبان خوار . في قوله ﷺ واصفاً حالهم:" لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ". وفي قوله ﷺ:" لن يبرح هذا الدين قائماً، يُقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة ". وفي قوله ﷺ:" ولا يزال من أمتي أمة يُقاتلون على الحق ". وفي قوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة". وغيرها من الأحاديث العديدة التي تقدم ذكرها[٥١].

وكذلك في قوله تعالى:﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾المائدة: ٥٤. فهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم، وهذا عين ما وصفت به الطائفة المنصورة في الأحاديث الآنفة الذكر.

وقال تعالى:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٦ .

فالربيون هنا هم الطائفة المنصورة الذين لا يعرفون الوهن والاستكانة، وهم صفوة الأمة من العلماء العاملين المجاهدين.

قال البغوي:﴿ فَمَا وَهَنُوا ﴾ أي جبنوا ، ﴿ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾، عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح، وقتل الأصحاب،﴿ وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ قال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، وقال السدي: وما ذلّوا، وقال عطاء: وما تضرعوا[٥٢]، وقال أبو العالية: وما جبنوا ولكن صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [٥٣].

---

[٥١] تقدم تخريج جميع هذه الأحاديث في الصفحات الأولى من هذا الكتاب.

[٥٢] أي ما تضرعوا بالشكوى إلى المخلوق سوء حالهم، ولا استعطفوا الناس لنصرتهم .. ومنه نعلم أن هؤلاء الذين يستجدون الحقوق بالشكاوى ـ التي ملت منها الآذان ـ على عتبات الأمم الظالمة .. والطواغيت الظالمين .. أنهم من أبعد الناس عن صفات وأخلاق الطائفة المنصورة!

[٥٣] التفسير: ١/ ٣٦٠.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾آل عمران: ١٠٤.

فالأمة هنا هم طليعة الأمة الكبرى وصفوتها .. هم الطائفة المنصورة الذي يتصدرون للمهام العظام، فيقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكونهم ينهون عن المنكر، يعني ذلك أنهم من أهل الشوكة والقوة، ولديهم من السلطة والمنعة . وإن لم تكن رسمية معترف بها من قبل الظالمين . ما يمكنهم من تغيير المنكر، لأن من لوازم تغيير المنكر استيفاء القوة التي تردع أهل المنكر عن منكرهم، بخلاف الأمر بالمعروف أو الدعوة إلى الخير فإنها أحياناً لا تستلزم القوة المادية.

وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله: لا بد من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. والذي يقرر أنه لا بد من سلطة هو مدلول النص القرآني ذاته، فهناك" دعوة " إلى الخير، ولكن هناك كذلك " أمر " بالمعروف، وهناك " نهي " عن المنكر، وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة غير ذي سلطان فإن الأمر والنهي لا يقوم بهما إلا ذو سلطان[٥٤]ا– هـ. والسلطة والقوة .كما تقدم . هي من أخص خصائص الطائفة المنصورة.

ـ صفات فرعية تتفرع عن هذه الصفة:

تتفرع عن صفة الجهاد في سبيل الله التي تتحلى بها الطائفة المنصورة عدة صفات، نجمل ذكرها في النقاط التالية:

أولاً: استمرارية وجود الطائفة المنصورة المجاهدة في كل زمان إلى أن تقوم الساعة؛ بحيث لا يخلو زمن من وجود أثر لهذه الطائفة، والذي يقرر ذلك قوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .. حتى يأتي أمر الله ". وفي رواية :" لن يزال قوم، من أمتي ظاهرين على الحق .. حتى يأتيهم أمر الله ". وفي رواية:" لن يزال قوم، من أمتي ظاهرين .. حتى يأتيهم أمر الله ". وفي رواية:" حتى تقوم الساعة ". وفي رواية: "إلى يوم القيامة ". وفي رواية:"حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال ".

وكذلك قوله ﷺ:" لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته "[٥٥]. فهذه صيغ كلها تفيد الاستمرارية والبقاء.

وهذا أمر . لا شك أنه . يبعث على الطمأنينة والسرور، ويلقي في النفوس الأمل على أن الخير في هذه الأمة باق ولن يزال، وأن نصر الله وفرجه آت ولو بعد حين .. وأن ظلام الليل إلى أفول مهما طال الصباح.

---

[٥٤] الظلال: ١/ ٤٤٤.

[٥٥] صحيح سنن ابن ماجة: ٨ ، وقد تقدم.

ويدل كذلك أنه مهما حاولت أيدي الطواغيت الظالمين على إفساد الأجيال وإبعادهم عن دينهم .. فهي تحاول عبثاً؛ لأن الله تعالى . قد تكفل أن . يُخرج من هذه الأجيال غرساً يوحدون الله تعالى .. يحفظ بهم الدين، ويستخدمهم في طاعته، ونصرة دينه.

فالله تعالى قد تكفل بحفظ دينه كما قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر:٩. ومن حفظه تعالى لدينه أن يغرس الغرس من المؤمنين المجاهدين الذين يحفظ بهم الدين.

كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله يبعثُ لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة من يجدد لها دينها "[٥٦].

فالله تعالى يحفظ الدين، ويجدد للأمة دينها .. على مر العصور .. بجند يحفظ ويجدد بهم الدين .. على مر العصور.

ومن معاني التجديد أن يُزيل عن هذا الدين ما علق به من بدع وأوهام، وأخطاء .. وتصورات باطلة لا تليق بعظمة هذا الدين .. ليبقى محفوظاً مصاناً . من أدنى معاني التحريف . كما أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ.

وهذا أمر يبعث . كذلك . المرء على الانطلاق من أسر العزلة والانطوائية على الذات والنفس ليبحث عن إخوان له . هم لا شك موجودون

. وعد الله تعالى بنصرهم وظهورهم على من ناوأهم ولو كره المشركون، فيكثر سوادهم بالقول والعمل، ليكون واحداً منهم .. يجاهد معهم.

ثانياً: أن الجهاد ماضٍ . مع كل بر و فاجر . ومستمر في كل زمان إلى أن تقوم الساعة، لا يوقفه جور جائر ولا تخذيل مخذل خائر، سواء كان للمسلمين إمام عادل يُقاتل من ورائه أو لم يكن لهم إمام . خليفة . كما هو الحال في زماننا، رضي من رضي وأبى من أبى ..!

والذي يدل على ذلك أمران . ليس الهوى ومحض الرأي . هما: منطوق النصوص الشرعية، ومفهومها.

أما منطوق النصوص الشرعية: فقد دلت النصوص الشرعية دلالة صريحة . لا تحتمل صرفاً ولا تأويلاً . على أن الجهاد ماضٍ . في كل زمان ولو بشخصٍ واحد . إلى قيام الساعة، وأن بابه مفتوح لمن تتوفر لديه الاستطاعة على القيام بهذه الفريضة.

قال تعالى:﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾النساء:٨٤. فهذا نص يُفيد أن الجهاد ماضٍ ولو بشخصٍ واحد ..!

---

[٥٦] صحيح سنن أبي داود:٣٦٠٦.

قال القرطبي في التفسير ٥/٢٩٣: قال الزجاج: أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالجهاد وإن قاتل وحده؛ لأنه قد ضمن له النصرة. قال ابن عطية: هذا ظاهر اللفظ، إلا أنه لم يجئ في خبر قط أن القتال فرض عليه دون الأمة مدة ما؛ فالمعنى والله أعلم أنه خطاب له في اللفظ، وهو مثال ما يُقال لكل واحدٍ في خاصة نفسه؛ أي أنت يا محمد وكل واحدٍ من أمتك القول له ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾، ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يُجاهد ولو وحده، ومن ذلك قول النبي ﷺ:" والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي ". وقول أبي بكر وقت الردة: ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي ا– هـ.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾التوبة: ١١١.

وهذا بيع وشراء قد تمَّ يشمل جميع المساحة الزمنية التي يعيشها الإنسان المؤمن .. لا يجوز تعطيله أو توقيفه في زمنٍ دون زمن.

فمن يشترط وجود الخليفة العام لإحياء فريضة الجهاد يلزمه أن يُبطل هذا العقد من البيع والشراء الذي تم بين الله تعالى وعباده .. طيلة فترة غياب الخليفة العام الذي قد يستغرق غيابه عشرات السنيين، ويستهلك أجيالاً بكاملها، كما هو الحال في زماننا ..!!

فبأي حق أو سلطان يُقال لهذه الأجيال أنتم مستثنون من هذا البيع والشراء طيلة فترة غياب الخليفة العام .. والذي قد يمتد إلى أكثر من مائة عام؟!

وفي الحديث الذي يرويه سلمة بن نفيل الكندي، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أزال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها! فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال :" كذبوا! الآن، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "[٥٧].

وقال ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة " مسلم.

والطائفة تُطلق على الفرد فما فوق، كما قال تعالى:﴿ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾التوبة: ٦٦.

قال القرطبي في التفسير: قيل كانوا ثلاثة نفر؛ هزئ اثنان وضحك واحد، فالمعفو عنه هو الذي ضحك ولم يتكلم ا– هـ.

---

[٥٧] صحيح سنن النسائي: ٣٣٣٣، وقد تقدم.

فالطائفة المعفو عنها عددها واحد .. وشاهدنا من ذلك أن الجهاد يمضي بشخص واحد .. وهو بمفرده يُسمى طائفة .. وإذا كان الأمر كذلك فأين يكمن وجود الخليفة كشرط لمضي الجهاد ..؟!

وقال ﷺ:" لن يبرح هذا الدين قائماً يُقاتل عليه عصابةٌ من المسلمين حتى تقوم الساعة " مسلم.

والعصابة تُطلق على الثلاثة أنفار فما فوق .. وإذا كان القتال ذوداً عن الدين وحرماته يمضي بعصابة تعداد أفرادها ثلاثة أنفار .. فأين يكمن وجود الخليفة كشرط لمضي الجهاد .. وكيف يجوز اشتراط وجود الخليفة العام لمضي الجهاد .. والجهاد يمضي بواحد .. وثلاثة فما فوق .. كما أفادت بذلك الأحاديث ؟!

وقال ﷺ:" الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة؛ الأجر والغنيمة " مسلم. وهذا الخير ماضٍ ومعقود في زمن وجود الخليفة وفي زمن غيابه .. لا يوقفه شيء من ذلك.

وقال ﷺ:" إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد "[٥٨]. وفي رواية:" لا تنقطع الهجرة ما جوهد العدو".

وفي المقابل فقد صح عنه ﷺ أنه قال:" لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها "[٥٩].

فإن ذلك يؤكد أن الجهاد لا ينقطع حتى تنقطع التوبة، والتوبة لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها، يوم ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الأنعام:١٥٨. لأن الهجرة باقية ما بقي الجهاد بدلالة النص، وإذا افترض انقطاع الجهاد . فترة غياب الخليفة . فإنه يلزم انقطاع الهجرة، وبالتالي انقطاع التوبة، وهذا أمر لا يجوز القول به لمخالفته لصريح الأدلة وإجماع الأمة.

أما دلالة مفهوم النصوص:فإن السنة دلت على وجود المجاهدين . المتمثلين في الطائفة المنصورة . واستمرارية وجودهم إلى يوم القيامة، واستمرارية وجود المجاهدين يستلزم استمرارية وجود الجهاد . صفتهم التي عرفوا بها . دون انقطاع، وفي حال انقطاعه . ظاهراً . يكون لإعداد لوازمه وهو جزء من الجهاد، وهو واجب وجوب الجهاد، لأن الجهاد لا يتم إلا به، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

فالمسلم إما أنه يُجاهد في سبيل الله، وإما أنه يعد للجهاد عدته عند سقوطه للعجز .. وليس له خيار ثالث.

وقد دلت السنة كذلك أن الإمام العام للمسلمين إذا طرأ عليه الكفر البواح، تعين على الأمة الخروج عليه وعزله وتعيين خليفة آخر مكانه؛ كما في حديث عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال:" إلا تروا كفراً

---

[٥٨] رواه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: ١٦٧٤ . قلت: مفهوم الحديث يدل أنه إذا توقف الجهاد انقطعت الهجرة، والسنة دلت أن الهجرة لا تنقطع حتى تنقطع التوبة، فدل أن الجهاد لا ينقطع حتى تنقطع التوبة كذلك .. والتوبة معروضة ومستمرة إلى قيام الساعة.

[٥٩] رواه أحمد وأبو داود، صحيح الجامع: ٧٤٦٩.

بواحاً عندكم من الله فيه برهان " متفق عليه. أي لا تنازعوا ولاة الأمور أمرهم إلا بعد أن تروا كفراً بواحاً لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً .

وفي رواية عند مسلم: قالوا: أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال ﷺ:" لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة ". لأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال . ومهما تعاظمت التضحيات . الإقرار بشرعية ولاية الكافر على المسلمين وعلى الأمة الإسلامية؛ كما قال تعالى:﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٤١ .

قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو أطر عليه الكفر انعزل، وقال وكذا لو ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها[٦٠].

قلت إذا كان الجهاد . كما زعموا . مشروطاً بوجود الخليفة العام للمسلمين، والخليفة هنا قد طرأ عليه الكفر البواح الذي لا يحتمل تأويلاً، فكيف يتم جهاده وعزله ؟ ومن يقوم بجهاده وعزله ؟ الخليفة . والخليفة قد كفر . أم الأمة بمجموعها مع غياب الخليفة ؟ لا بد أن يكون الصواب هو الخيار الثاني، ولا مناص من ذلك.

مما تقدم يعلم خطأ من يدعي إغلاق باب الجهاد طيلة فترة غياب الإمام العام للمسلمين " الخليفة " حتى لو استمر غيابه مئات السنين، ومن يحاول من المسلمين خلال هذه الفترة أن يفتح بابه . في نظرهم . هو صاحب فتنة، وهو آثم آبق في جهنم وبئس المصير..[٦١]!!

---

[٦٠] شرح صحيح مسلم للنووي: ١٢/ ٢٢٩.

[٦١] انظر مثلاً ماذا يقول محمد إبراهيم شقرة في كتابه الموسوم بـ " هي السلفية نسبةً وعقيدةً ومنهجاً " الذي نال القبول عند الشيخ ناصر .. وعند كثير من السلفيين المعاصرين .. يقول:" ونسأل لماذا لا تستطيع الأمة القيام بأعباء فريضة الجهاد ؟ ذلكم، أن الجهاد . وهو فريضة فرضها الله سبحانه . لا يكون إلا بإمامٍ وبإذنٍ منه، وهو في هذا مثل الحدود والعقوبات، فهذه لا يوقعها ولا يقيمها إلا إمام العامة.

والجهاد الذي جعله الله سبحانه من الأسباب التي تجري في فلك قانون المدافعة هو منه، وبه، وفيه، وقانون المدافعة يقضي بأن الجهاد لا بدّ وأن يكون مأذوناً به من إمام عامةٍ، فإن أذن على نحو ما بينا سابقاً، وإلا فهو آبق إلى إثمٍ، غادٍ إلى عذابٍ، رائشٌ لنفسه سهماً من غضب الله يجأ به صدره !!

وبعد، فإن الجهاد لا يفتح بابه، ولا يرفع رايته، ولا يأذن به ويدعو إليه إلا إمام واحدٌ، رضي من رضي، وكره من كره؛ صوناً للأمة، وحفظاً لِقناتها "!! ا– هـ.

وكنت قد سألت علي الحلبي عن هذا الكتاب .. وعن رأي الشيخ ناصر فيه: فأبدى الرجل إعجابه به .. وقال: إن الشيخ ناصر موافق عليه ..!!

قلت: وعلى هذا القول الشاذ .. حزب التحرير كذلك .. وقد عنيت في الرد عليهم في كتابنا " الطريق إلى استئناف حياة إسلامية " فليراجعه من شاء.

وهذا القول إلى جانب أنه مخالف للحق والصواب الذي دلت عليه النصوص الشرعية وما كان عليه السلف الصالح، فإنه يترتب عليه مزالق عدة نجملها في النقاط التالية:

١- هو قول من بنات عقولهم وأهوائهم، وبالتالي فهو من هذا الوجه يعتبر إحداثاً في دين الله من غير بينة ولا دليل صحيح صريح، ولا حتى ضعيف .. وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ..!

وأقوى ما استدلوا به كحجة على مذهبهم الباطل هذا هو ما حصل ويحصل في بعض الأمصار التي أعلن فيها الجهاد من نتائج غير مرضية بسبب بعض الممارسات الخاطئة لبعض المجاهدين .. أو بسبب بعض الجراحات والآلام التي لا بد أنها تحصل جراء أي جهاد أو قتال يحصل بين المسلمين وأعدائهم!

فهم ما إن يسمعوا داعياً يدعو للجهاد في سبيل الله .. إلا وتراهم يصدون .. ويصدون عنه الناس .. ويقولون له على الفور: تريد أن يحصل كما حصل في بلد كذا .. وكذا .. ألا يكفي الدمار الذي سببتموه في تلك الديار .. ألا تعتبروا من النتائج التي حصلت هناك ..؟!!

وهذه حجة داحضة مرفوضة لا تقوم بها حجة ولا يجوز أن يبنى عليها حكم، فهناك فرق بين خطأ المجاهدين وبين مبدأ الجهاد وشرعيته .. وبين الأخطاء التي تكون بسببٍ من أنفسنا وتقصيرنا، وعدم أخذنا بالأسباب الشرعية .. وبين مبدأ الجهاد الذي شرعه الله تعالى لعباده ..!

وفي حال حصول بعض الممارسات الخاطئة من قبل المجاهدين . وبخاصة الأخطاء الناتجة عن اجتهاد . فهذا لا يستدعي إغلاق باب الجهاد .. واشتراط له الشروط التي ما أنزل الله بها من سلطان .. وتجريم المجاهدين، وتأثيمهم .. واعتبارهم آبقين إلى إثم وعذاب!

فقد صح أن خالد بن الوليد ﷺ قد قتل الذين قالوا صبأنا . يريدون أن يقولوا أسلمنا لكن أخطأهم التعبير؛ فلم يُحسنوا أن يأتوا بالتعبير الصريح الصحيح الذي يعصم دمهم .. فقالوا صبأنا . ظناً منه أن ذلك لا يعصم دمهم ولا يمنع من قتلهم .. وكان مخطئاً في ذلك، والنبي ﷺ تبرأ من صنيعه، لكنه لم يوقف الجهاد .. ولم يتبرأ من خالد .. ولا من جهاده بل سماه سيفاً من سيوف الله المسلولة على الباطل .. وأمّره على كثير من الغزوات ..!

فالذين يريدون أعمالاً من دون أخطاء، ومجاهدين لا يخطئون .. وجهاداً من دون دماء وتضحيات .. فهم في الحقيقة لا يريدون أن يعملوا ولا أن يجاهدوا، ولا أن تقوم للجهاد .. ولا للأمة قائمة؛ لأن شرطهم هذا يستحيل تحقيقه في بني البشر المجبولين على الخطأ والتقصير ..!

وفي هذا يقول ابن تيميه رحمه الله: من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع معسكر كثير الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع

الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه [٦٢] .

٢- ومما يُرد به هذا القول أنه قول باطل لم يقل به سلف أو عالم معتبر .. وليس للقوم سلف سوى الكذاب " أحمد غلام القادياني " الذي زعم لأتباعه في الهند أن الجهاد في الإسلام منسوخ لا يجوز العمل به .. خدمة للمستعمر الإنكليزي المحتل يومئذٍ للبلاد!

وكذلك الشيعة الروافض الذين قالوا لا جهاد إلا مع إمام ولو طال غيابه آلاف السنين .. ولما كانت هذه العقيدة الباطلة مشكلة عليهم .. وعائقاً كبيراً أمام طموحاتهم .. اتفقوا مؤخراً على مبدأ سموه " ولاية الفقيه " الذي يقوم بدور وصلاحيات الإمام ..!

٣- المستفيد الأول والأخير من هذا القول هم الطغاة المستبدون، والكفار المستعمرون؛ إذ من ثماره تكريس حكمهم وأمنهم والحفاظ على مصالحهم وعروشهم .. وتثبيط الأمة عن جهادهم والتحرر منهم، ومن استبدادهم!

٤- يتضمن هذا القول تأثيم كثير من الصحابة وغيرهم من السلف الصالح الذين جاهدوا من دون خليفة ومن دون إذن من إمام عام، في وقت كان الخليفة العام للمسلمين موجوداً[٦٣]، كجهاد أبي بصير ومن معه من الصحابة وقتالهم لكفار قريش واعتراضهم لقوافلهم .. من دون إذن من النبي ﷺ ولا أمر منه؛ لأن قريشاً كانت حينئذ في هدنة وصلح مع النبي ﷺ .. يمنع من قتالها طيلة عشر سنوات .. كما نصت على ذلك بنود صلح الحديبية.

وكذلك جهاد الحسين بن علي ﷺ، وعبد الله بن الزبير ﷺ ومن كان معهما من الصحابة والتابعين .. ولم يكن أحد منهما يومئذٍ خليفة ولا إمام عام!

وكذلك الدولة الأموية .. والدولة العباسية .. والعثمانية .. قد مروا بمراحل قتال قبل أن يستتب لهم الأمر .. ويأخذوا وصف وحكم الإمامة العامة .. ومع ذلك لم يقل عالم معتبر بأن قتالهم غير مشروع لأنه بدأ من دون إمام عامة .. ولا إذنٍ منه!

وكذلك كان جهاد ابن تيميه ومن معه ضد التتار وغيرهم، وكذلك جهاد محمد بن عبد الوهاب أهل الشرك والبدع في زمانه .. فهؤلاء جميعهم . في نظر أصحاب هذا القول المحدث . آثمون آبقون في جهنم، لأنهم شرعوا في الجهاد من دون إذن من الخليفة العام ..!!

٥- هذا القول مفاده الطعن والتشكيك بشرعية الجهاد في كثير من الأقطار التي تعاني من وطأة الكافر المحتل؛ كما في فلسطين، وأفغانستان، والشيشان .. وغيرها من الأمصار والبلدان ..!

وهذا فيه من الظلم والتجني، والتألي .. ما فيه.

---

[٦٢] الفتاوى: ٢٨م ٥٠٦.

[٦٣] قلت: يكون الجهاد من دون إذن الخليفة في حال غيابه من باب أولى.

٦-هذا القول مؤداه إلى ترك الجهاد في سبيل الله . إلى أن يجيء الخليفة فيأذن به!!. وحمل الأمة على الركون إلى الدنيا، والوقوع في الوهن والذل .. حب الدنيا وكراهية الموت!

كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إذا تبايعتم بالعينة،[٦٤] وأخذتم أذناب البقر، [٦٥] ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"[٦٦]. أي حتى ترجعوا إلى جهادكم .. فسمى الجهاد ديناً.

وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة:٢٤.

ثالثاً: صفة الإعداد والأخذ بأسباب القوة اللازمة لإرهاب العدو الكافر؛ والذي يقرر هذه الصفة للطائفة المنصورة .. وملازمتهم لها في جميع مراحل نشاطهم وظروفهم .. هو كونهم يجاهدون في سبيل الله، والجهاد بهم ماضٍ إلى قيام الساعة، والجهاد من لوازمه الإعداد والأخذ بأسباب القوة، كما قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ التوبة:٤٦.

فبين أن الأخذ بالإعداد اللازم للجهاد هو القرينة الدالة على صدق الذين يريدون الجهاد والخروج في سبيل الله، وأن عدمه يعتبر قرينة دالة على كذب القوم ولو ادعوا بلسانهم ألف مرة أنهم يريدون الجهاد والخروج، فالإعداد أو عدمه هو القرينة الدالة على صدق الإدعاء أو كذبه .. وهي القرينة التي تميز الصادق من الكاذب.

فالأمة التي لا تواكب إعداد الأمم الأخرى .. وأخذهم بأسباب القوة والمنعة .. لا تستحق أن تعيش بكرامة بين الشعوب والأمم!

وقال تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾الأنفال:٦٠.

---

[٦٤] العينة: نوع من أنواع التعامل بالربا، وصفته: أن يبيع المرء شيئاً من غيره بثمن مؤجل، ثم يشتريه من المشتري قبل قبض الثمن بسعر أقل من ذلك القدر يدفعه نقداً، فيكون بذلك قد تحققت الفائدة الربوية بالفارق بين ثمن السلعة مؤجلاً وبين ثمنها نقداً .

[٦٥] أي: وتبعتم أذناب البقر كناية عن الاشتغال بالرعي عن الجهاد في سبيل الله.

[٦٦] رواه أحمد، وأبو داود، والبيهقي وغيرهم، السلسلة الصحيحة:١١.

وفي الحديث عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول:" ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي[٦٧] ألا إن القوة الرمي" مسلم.

وقال ﷺ:" من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى" مسلم.

وكذلك مما يدل على اهتمام الطائفة المنصورة بالإعداد و الأخذ بأسباب القوة والظهور على أعدائهم، وصفهم في الحديث بأنهم:" ظاهرين على من ناوأهم، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم "، وهذه صفة لا يمكن أن تجتمع أو تتحقق إلا في المؤمنين الأقوياء الذين يُحيون العمل بواجب إعداد القوة .. ومنافسة الآخرين في ذلك ما استطاعوا لذلك سبيلاً.

رابعاً: إخلاص الجهاد .. فهم إذ يُجاهدون، يُجاهدون في سبيل الله تعالى وحده، لإعلاء كلمته في الأرض، لا يشوب جهادهم مقصد آخر.

يُجاهدون لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .. ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة وجنان الآخرة.

كما قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾النساء:٧٦.

والقتال في سبيل الله هو كل قتال تكون الغاية منه إعلاء كلمة الله في الأرض .. وما سوى ذلك فهو قتال في سبيل الطاغوت .. مهما اختلفت الرايات والمسميات.

كما في الحديث عن أبي موسى الأشعري قال: جاء إعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: الرجل يقاتل ليُذكر، ويقاتل ليغنم، ويقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال:" من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل " متفق عليه.

وعن أبي أمامة الباهلي، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس لأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ:" لا شيء له " فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ:" لا شيء له"، ثم قال:" إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه "[٦٨].

وقال ﷺ:" يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل، فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له : لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك. فيقول فإنها لي. ويجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلني. فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه "[٦٩].

---

67 من الرمي، الرمي على جميع أنواع الأسلحة الحديثة: من المسدس إلى الدبابة وحتى الصاروخ.

[٦٨] صحيح سنن النسائي: ٢٩٤٣.

[٦٩] صحيح سنن النسائي: ٣٧٣٢.

والذي نريد أن نقرره هنا أن الذين يقاتلون تحت راية عمية جاهلية . وهي كل راية غير راية الإسلام . ولغاية عرقية أرضية؛ كالذين يقاتلون في سبيل الإنسانية، أو القومية، أو العلمانية، أو الوطن والوطنية وغيرها من الشعارات الوثنية المرفوعة في هذا الزمان التي تُعبد من دون الله .. والتي تُعبد العبيد للعبيد .. فهؤلاء . غير أنهم على ضلال مبين وخطر عظيم . لا يجوز اعتبارهم من الطائفة المنصورة أو أن قتلاهم شهداء .. وفي الجنة .. لمجرد أنهم يقاتلون .. لأنهم إذ يُقاتلون فهم يقاتلون لكي تكون العزة لفلان وليس لله ﷻ!

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" من قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتلته جاهلية " مسلم.

والطائفة المنصورة .. من أكثر الناس بعداً وبراءة من القتال تحت رايات جاهلية عمية .. وهكذا يجب أن يكونوا.

خامساً: وهم كذلك قائمون على أمر الله تعالى .. ساهرون على حدوده وأحكامه .. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لا يخافون في الله لومة لائم.

كما قال تعالى عنهم :﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤.

والمراد بالأمة في الآية هم العلماء العاملون المجاهدون، صفوة الأمة علماً وعملاً وجهاداً، وإذا لم يكن هؤلاء هم المعنيين من أحاديث الطائفة المنصورة فمن يكون غيرهم ؟!

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء[٧٠].

وقال تعالى:﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ الحج: ٤١.

وتظهر هذه الصفة فيهم . صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . بارزة في قوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله " ومن أمر الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي قوله:" لن يبرح هذا الدين قائماً " بهم. والدين لا يقوم إلا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وضرب النبي ﷺ مثلاً عنهم وعمن يخالفهم، فقال:" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء فمروا على من فوقهم فتأذوا بهم، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقالوا: لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقاً فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا، فأخذ . أي أحدهم . فأساً فجعل ينقر أسفل

---

[٧٠] تفسير ابن كثير: ١/ ٣٩٨.

السفينة، فأتوه فقالوا مالك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً "[٧١].

فمثلهم مثل الذين يأخذون على أيدي أهل المنكر زجراً وضرباً ونهياً .. حتى لا تهلك المجتمعات وتغرق . بأوحال الفساد والمرض . بساكنيها .. وبذلك نالوا صفة القيام على حدود الله وأوامره.

وقال ﷺ:" إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء" قيل: من هم يا رسول الله؟ قال:" الذين يصلحون إذا فسد الناس"[٧٢].

وقد جاءت صفتهم في رواية أخرى أنهم:" ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم"[٧٣]. لكن ذلك لا يثنيهم عن الجهر بالحق، والصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو خالفوا بذلك تيار الباطل الجارف ..!

فهم يصلحون إذا فسد الناس، مهما كانت تكاليف الإصلاح باهظة الثمن .. لا يلتفتون إلى كثرة الجماهير وصفيقهم .. ولا يبالون لمن وافقهم أو خالفهم .. فهمّهم الأكبر هو الإصلاح .. هو أن تنجو السفينة من الغرق وتصل إلى بر الأمان بسلام ..!

لا يبررون لأنفسهم . تحت ذرائع العجز والاستضعاف . مواكبة الباطل أو الركون إليه في مرحلة من مراحل المسير إلى الله .. طمعاً في كسبٍ دنيوي زهيد .. أو نظرة عطف وإحسان من طاغوت متجبر .. كما يفعل ذلك كثير ممن يسمون أنفسهم دعاة .. متسترين بمصلحة الدعوة .. فاحيوا في الأمة فقه العجز والاستضعاف .. والركون إلى الظالمين .. وفقه أن الباطل واقع لا بد من الرضى به والتعايش معه .. ولا بد من مد جسور الحوار والتفاهم .. وما حملهم على ذلك إلا حظوظ النفس والهوى .. والطمع بما في أيدي الظالمين من فُتات .. والفرار من تكاليف الدعوة إلى الله!

ـ شبهة ورد:

من الشبهات التي تثار حول الموضوع .. أن تغيير المنكر ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١– تغيير للمنكر باليد، وهو من صلاحيات السلطان " الخليفة " وخصوصياته وحده ..!

٢– تغيير للمنكر باللسان، وهو من صلاحيات العلماء وخصوصياتهم وحدهم .. لا ينبغي لغيرهم أن يقوم به أو يُشركهم فيه!

٣– إنكار المنكر في القلب .. وهو من خصوصيات عامة المسلمين .. يستوي في ذلك القوي والضعيف!

---

[٧١] رواه البخاري وغيره، السلسلة الصحيحة:٦٩.

[٧٢] السلسلة الصحيحة: ١٢٧٣.

[٧٣] رواه ابن المبارك في الزهد، السلسلة الصحيحة: ١٦١٩.

والجواب على هذا التقسيم من أوجه، منها:

١- أن هذا التقسيم محدث ما أنزل الله به من سلطان .. لا يوجد عليه دليل صحيح من الكتاب والسنة، ولا قول لسلف معتبر .. وعليه فهو تقسيم مردود لا قيمة له، لقوله ﷺ :" من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ". وفي رواية:" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو مردود " متفق عليه. وقال ﷺ:" إياكم والمحدثات فإن كل محدثة ضلالة"[٧٤]. وهذا التقسيم لا شك أنه من المحدثات التي لم يعرفها سلفنا الصالح من قبل.

٢- أن نصوص الكتاب والسنة دلت على خلاف هذا التقسيم، كما في قوله تعالى:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ التوبة: ٧١.

فالنص عام وشامل لجميع المؤمنين والمؤمنات، وهم جميعاً معنيون من هذا الخطاب؛ حيث كل واحد منهم ينبغي أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب قدرته واستطاعته، وبحسب موقعه ومكانته بين أهله وقومه، لقوله تعالى:﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾التغابن: ١٦. ولأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

قال ابن تيميه: وهذا . أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض على الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره، فإن مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل إنسان بحسب قدرته، قال تعالى:﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[٧٥]ا-هـ.

وفي قوله تعالى:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. قال ابن كثيرة: المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطيع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[٧٦].

فقيد تغيير المنكر بوجود الاستطاعة على تغييره؛ لأن انتفاء القدرة يستلزم ارتفاع التكليف إلى حين تحقق القدرة، ووجود الاستطاعة[٧٧].

---

[٧٤] رواه أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

[٧٥] الفتاوى: ٢٨/ ٦٥.

[٧٦] التفسير: ١/ ٣٩٨.

[٧٧] لتغيير المنكر ثلاثة شروط:أولاً: أن يكون المرء عالماً بالمنكر الذي يريد أن يغيره؛ لأن جاهل الشيء كفاقده لا يمكن أن يُعطيه، وقولنا أن يكون عالماً بالمنكر: لا يعني ولا يستلزم أن يكون عالماً بمجموع مسائل الدين. ثانياً: أن يكون قادراً على تغييره؛ لأن العجز يرفع التكليف إلى حين تحقق القدرة. ثالثاً: أن لا يؤدي تغيير المنكر إلى ما هو أنكر منه .. فالضرر يُزال،

وكذلك فإن السنة قد دلت على أن من المنكر ما يغير باليد من دون أن يُحال إلى السلطان، كقوله ﷺ:" من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد"[٧٨].

وقال:" من أريد ماله بغير حق، فقاتل فهو شهيد"[٧٩]. وفي رواية:" من قتل دون مظلمته فهو شهيد"[٨٠].

وعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال:" فلا تعطه مالك " قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال:" قاتله ".قال: أرأيت إن قتلني، قال:" فأنت شهيد "، قال:أرأيت إن قتلته؟ قال:" هو في النار " مسلم.

قال الترمذي: قد رخص بعض أهل العلم للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله.

وقال ابن المبارك: يقاتل عن ماله ولو درهمين[٨١].

قلت: يلتجئ للقتال بعد أن تعدم جميع الوسائل الأخرى الممكنة التي يستطيع من خلالها أن يسترد حقه وينتصف لنفسه.

أما إذا وجد سبيلاً . غير القتال . يستطيع من خلاله أن يحصل على حقه ويرد ظلم الظالم المعتدي عنه، فإنه حينئذ يتعين عليه الإمساك عن القتال لانعدام مبرراته، ولما يترتب على القتال من مفاسد لا تحمد عقباها.

كما في الحديث عن مخارق قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال:" ذكره بالله ". قال: فإن لم يذكر؟ قال:" فاستعن عليه من حولك من المسلمين ". قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال:" فاستعن عليه بالسلطان ". قال: فإن نأى السلطان عني؟ قال:" قاتل دون مالك، حتى تكون من شهداء الآخرة أو تمنع مالك "[٨٢].

دل الحديث على أن السلطان خيار من الخيارات .. وأنه إن نأى عن نصرة المظلوم، وكان ذلك متعثراً .. وكان المظلوم قادراً على أن يحصل على حقه بيده ونفسه، فإنه يشرع له حينئذٍ أن يقاتل دون ماله ومظلمته حتى يحصل على حقه، ويستنقذ ماله من غاصبه.

ولا يُزال بضررٍ أكبر .. أو حتى مماثل؛ لأن تغييره حينئذٍ يكون من العبث، وتضييع للطاقات والأوقات من غير طائل .. والإسلام منزه عن ذلك!

[٧٨] صحيح سنن الترمذي: ١١٤٨.

[٧٩] صحيح سنن الترمذي: ١١٤٧.

[٨٠] صحيح سنن النسائي: ٣٨١٨.

[٨١] صحيح سنن الترمذي: ٢/ ٦٢.

[٨٢] صحيح سنن النسائي: ٣٨٠٣.

و كذلك قوله ﷺ:"من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه" مسلم. وهذا منكر يغير باليد من دون أن يُرد إلى السلطان.

وكذلك فإن السنة دلت على وجوب ضرب الآباء لأبنائهم على الصلاة وهم أبناء عشر .. وهذا تغيير للمنكر باليد لاعلاقة للسلطان به.

وكذلك ضرب الزوج لزوجته . ضرباً غير مبرح . في حال نشوزها وعصيانها، كما قال تعالى:﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ النساء: ٣٤. وهذا أيضاً منكر يغير . عند الحاجة . باليد، لا دخل للسلطان به.

وغيرها كثير من الأدلة التي تدل على خلاف ذلك التقسيم .. والتي تدل على أن كل ابن آدم راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، كما في الحديث:" كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته .. " متفق عليه. ومن لوازم الرعاية والمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- القول بموجب هذا التقسيم، مؤداه إلى إهمال القوة وإلغاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد في زمن غياب السلطان (الخليفة)، وهذا أمر معارض لأبرز صفة من صفات الطائفة المنصورة . التي لا يرتبط وجودها بوجود الخليفة . وهي القتال في سبيل الله، وحراسة الدين والفضيلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادساً: ومن الصفات المتفرعة عن صفة الجهاد في سبيل الله ﷻ صفة الظهور على من ناوأهم وعاداهم، والذي يقرر ذلك قوله ﷺ:" لا يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس " وقوله ﷺ:" ظاهرين على من ناوأهم " وقوله ﷺ:" منصورين ".

فالأحاديث هنا على ظاهرها؛ فهم ظاهرون بكل ما تعني كلمة الظهور من معنى، فهم ظاهرون بذواتهم على كل من يعاديهم أو يقاتلهم، ظاهرون بدعوتهم وكلمتهم على جميع الدعوات المزيفة الباطلة، وهم كذلك ظاهرون بمعنوياتهم وإيمانهم لا يخافون في الله لومة لائم ..!

ترى أحدهم معتقلاً في سجون الطغاة يواجه أعتى أنواع التنكيل والتعذيب والإرهاب .. وهو مع ذلك ظاهر بدعوته صدَّاعاً بالحق في وجوه الطغاة الآثمين .. بل هم حتى لو حكموا عليه بالإعدام، تراهم يغتاظون منه لما يسمعونه من عبارات الرضى والتكبير والتهليل التي تنم عن رضاه بالفوز بنصر الشهادة التي طالما كان يبحث عنها[٨٣] ..!

ولربما كانت الكلمات التي كان ينطق بها بلال وهو تحت سياط الجلادين: أحدٌ .. أحد .. ولا يزيد .. هي أشد وطأة وقوة من السياط على رؤوس الطواغيت الجلادين!

---

٨٣ من ذلك ما نسمعه عن كثير من الطواغيت الظالمين، حيث تراهم يمتنعون عن قتل الأخ وهو في سجونهم .. حتى لا يفوز بنصر الشهادة .. وحتى لا يُقال عنه شهيد .. ولما يعلمون ماذا تعني له الشهادة في سبيل الله ..!

شبهـة ورد:

لعل قائلاً يقول: كيف نوفق بين كونهم ظاهرين منصورين .. ثم بالمقابل لا نجد لظهورهم أثراً في الواقع ؟

والجواب على ذلك من أوجه، منها:

١- نقول للسائل: لو أمعنت النظر، ودققت الفهم .. وتحريت ببصيرة العالم ما يجري على الساحة .. لأدركت أن للطائفة المنصورة ظهوراً وحضوراً لا يمكن نكرانه أو تجاهله .. وإلى أن تقوم الساعة.

ونقول لك مصارحين معتذرين: قد كذبك فهمك وبصرك .. وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر عنهم من أنهم ظاهرون منصورون .. وعلى مر العصور إلى أن تقوم الساعة.

٢- أن ظهورهم على الناس لا يُعدم، ولكن الذي يمكن أن يحصل أن ظهورهم قد تتضاءل ساحته واتساعه .. في مرحلة من المراحل . بحكم الغربة التي يعانون منها . حتى يظن البعض أنهم غير موجودين مطلقاً، والحقيقة تكون خلاف ذلك.

٣- القول بأنهم ظاهرون لا يستلزم أنهم لا يصابون . في مرحلة من المراحل . بخسائر ويمنون بهزائم .. بما كسبت أيدي بعضهم .. أو لابتلاء يريده الله .. يُمحص به النفوس والصفوف .. فهذا وارد حتى للطائفة المنصورة الأولى .. الذين نزل فيهم قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾آل عمران:١٧٢.

وقوله تعالى:﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾آل عمران:١٦٦.

فسنة الله قضت أن يكون القتال سجال، مرة لك ومرة عليك .. والعاقبة للمتقين.

٤- ضمور الظهور . وليس انعدامه . في مرحلة من المراحل .. يعتبر بالنسبة لتاريخ الطائفة المنصورة المديد، ومضة سريعة سرعان ما تنكشف وتنجلي، وأمراً شاذاً وطارئاً وليس أصلاً ..!

سابعاً: ومنها أن الطائفة المنصورة تعمل بصورة جماعية منظمة، عليها أمير مطاع **والذي يقرر ذلك أمور نجمل ذكرها في النقاط التالية:**

١- إن المهام التي تقوم بها الطائفة المنصورة، والتي منها القتال في سبيل الله، يستحيل القيام بها إلا من خلال عمل جماعي منظم .. أخذ بجميع أسباب القوة والظهور، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصف:٤.

والقاعد الفقيهة تقول: مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والقول بخلاف ذلك: يعني ضياع كثير من الواجبات الشرعية، التي منها الجهاد في سبيل الله، ويعني كذلك الفردية والتشرذم، والفرقة والاختلاف، وهذا بخلاف ما أمر الله به ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران:١٠٣.

وقال رسول الله ﷺ:" إن الله يرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " مسلم.

وقال ﷺ:" عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة"[٨٤].

وقال :" يد الله مع الجماعة"[٨٥]. وقال ﷺ:" الجماعة رحمة والفرقة عذاب "[٨٦].

وغيرها كثير من الأدلة التي تأمر بالجماعة والاعتصام بحبل الله، وتنهى عن الفرقة والاختلاف.

والغريب في الأمر: أن الذين يستهوون الفردية .. والعمل الفردي بعيداً عن الجماعة .. الذين تقشعر جلودهم من كل عمل منظم . يهدف إلى التعاون على الخير . ينتصرون بهذه النصوص على صواب ما هم عليه من فردية وتشرذم وتفرق قاتل، ويستشهدون بها على خطأ كل من يدعو الأمة إلى أن تنتظم في جماعة واحدة على قلب رجل واحد، وعلى منهاج واحد .. منهاج النبوة!!

فحملوا النصوص الشرعية من المعاني مالا تحتمل، ووضعوها في غير موضعها ومنزلها الذي أراده الشارع!!

٢- الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صلِّ لنا، فيقول لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة ".

فالحديث فيه فوائد عدة منها:" صحة وشرعية الإمارة على هذه الطائفة على لسان نبينا ﷺ حيث قال:" فيقول أميرهم " وعلى لسان عيسى عليه السلام" إن بعضكم على بعض أمراء " ولا ينبغي أن يحمل هذا . أي صحة الإمارة . على آخر الطائفة وقت نزول عيسى عليه السلام، دون ما قبله من الأزمنة، فإن إضافة الأمير إلى الطائفة" أميرهم " مع بيان أن صفة هذه الطائفة هي الاستمرارية " لا تزال " يبين استمرارية هذه الإمارة وصحتها، وإن الإمارة صفة لازمة لهذه الطائفة في كل زمان " لا تزال .. أميرهم "، فإذا ثبت أنه تأتي على المسلمين أزمنة يفتقدون فيها الإمامة الكبرى(الخلافة)، وثبت صحة واستمرارية الإمارة على الطائفة المنصورة، فتكون الإمارة على هذه الطائفة في حالة انعدام الإمارة صحيحة إن شاء الله "[٨٧].

٣- قد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم "[٨٨].

وفي رواية عند أحمد:" لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم ".

---

[٨٤] صحيح سنن الترمذي:١٧٥٨.

[٨٥] صحيح سنن الترمذي:١٧٦٠.

[٨٦] رواه ابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني في التخريج.

[٨٧] عن كتاب" العمدة في إعداد العدة " للأخ الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، ص ٦٨. وهو كتاب مفيد ننصح بقراءته.

[٨٨] رواه أبو داود، صحيح الجامع:٥٠٠.

فإذا كان ثلاثة في سفر تتعين عليهم الإمارة درءاً لحصول الفرقة والاختلاف، فيكون من باب أولى أن تتعين الإمارة على ما هو أعظم من السفر كالجهاد في سبيل الله من أجل استئناف حياة إسلامية على منهاج النبوة.

قال ابن تيميه رحمه الله: يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها. فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ:" إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم "، وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال:" لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم ". فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجب من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله فإن التقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات[٨٩]ا- هـ.

وقال الشوكاني بعد أن ذكر أحاديث الإمارة في السفر: فيها دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلاف، فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه، ويفعل ما يُطابق هواه فيهلكون، ومع التأمير يقل الاختلاف وتجتمع الكلمة، وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى [٩٠]ا- هـ.

وقال إمام الحرمين الجويني: فإذا خلا الزمان عن السلطان، وجب البدار على حسب الإمكان إلى درء البوائق عن أهل الإيمان، إلى أن قال: وإذا لم يصادف الناس قوَّاماً بأمورهم يلوذون به فيستحيل أن يؤمروا بالقعود عما يقتدرون عليه من دفع الفساد، فإنهم لو تقاعدوا عن الممكن، عم الفساد البلاد والعباد.

وقد قال بعض العلماء: لو خلا الزمان عن السلطان فحق على قطان كل بلدة وسكان كل قرية أن يقدموا من ذوي الأحلام والنهى، وذوي العقول والحِجا من يلتزمون امتثال إشارته وأوامره، وينتهون عن مناهيه ومزاجره، فإنهم لو لم يفعلوا ذلك، ترددوا عند إلمام المهمات، وتبلدوا عند إظلام الواقعات.

ولو انتُدِب جماعة في قيام الإمام لغزوات، وأوغلوا في مواطن المخافات، تعين عليهم أن ينصبوا من يرجعون إليه إذ لو لم يفعلوا ذلك لهووا في ورطات المخافات، ولم يستمروا في شيء من الحالات[٩١]ا- هـ.

٤- وكذلك مما يستدل به على تجويز الإمارة وشرعيتها لغير الخليفة في حال غيابه، ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم يوم " مؤتة " عندما قُتل أمراؤهم الذين أمرهم النبي ﷺ .. فاجتمعوا على تأمير

---

[٨٩] الفتاوى: ٢٨/ ٣٩٠، ٣٩١.

[٩٠] نيل الأوطار: ٨/ ٢٥٦.

[٩١] غياث الأمم في التياث الظلم، ص ٣٨٧- ٣٨٨.

خالد بن الوليد من دون تأمير ولا إذنٍ من النبي ﷺ، وعندما بلغ الخبر النبي ﷺ، استحسن صنيعهم، وسمى خالداً يومئذ سيف الله.

قال ابن حجر في الفتح: فيه جواز التأمر في الحرب بغير تأمير، قال الطحاوي: هذا أصل يؤخذ منه أن على المسلمين أن يقدموا رجلاً إذا غاب الإمام يقوم مقامه إلى أن يحضر[٩٢]ا- هـ.

وقال ابن قدامة في "المغني ": فإن عُدم الإمام لم يؤخر الجهاد؛ لأن مصلحته تفوت بتأخيره، قال القاضي: فإن بعث الإمام جيشاً وأمر عليهم أميراً فقتل أو مات، فللجيش أن يؤمروا أحدهم، كما فعل أصحاب النبي ﷺ في جيش مؤتة لما قتل أمراؤهم الذين أمرهم النبي ﷺ، أمروا عليهم خالد بن الوليد، فبلغ النبيﷺ فرضي أمرهم وصوب رأيهم، وسمى خالداً يومئذ سيف الله[٩٣]ا- هـ.

٥- كذلك فإن السنة دلت على أن الأمير المعين من قبل الخليفة، في حال عصيانه للأوامر يُعزل ويستبدل بأمير آخر من دون علم الخليفة العام إن تعذر إعلامه.

كما في الحديث الذي يرويه أبو داود في سننه، عن بشر بن عاصم، عن عقبة بن مالك . من رهطه . قال: بعث النبي ﷺ سرية فَسَلَحَت رجلاً منهم سيفاً، فلما رجع قال: لو رأيت ما لامنا رسول الله ﷺ قال: "أعجزتم إذ بعثت رجلاً منكم فلم يمض لأمري، أن تجعلوا مكانه من يمضي لأمري؟!"[٩٤].

قال أبو الطيب شمس الحق آبادي:" فلم يمض لأمري " قال في المجمع في مادته مضى: وفيه إذا بعثت رجلاً فلم يمض أمري؛ أي إذا أمرت أحداً أن يذهب إلى أمر أو بعثته لأمر ولم يمض وعصاني فاعزلوه. " أن تجعلوا " أي أعجزتم من أن تجعلوا .. [٩٥] ا- هـ.

وهذا لوم من النبي ﷺ لهم على تقصيرهم في عزله، وعدم تأمير من ينوب عنه في تنفيذ المهام الموكلة إليه على وجه أفضل.

والأدلة كثيرة التي تدل على شرعية انعقاد الإمارة لغير الخليفة في حال غيابه . سواء كان غيابه غيابَ حضور أم غياب انعدام كما هو الحال في زماننا . وفيما ذكرناه من الأدلة القدر الكافي لمن يسأل عن الحجة في المسألة، ويبتغي الحق متجرداً عن هواه.

وقد وهم علي بن حسن الحلبي في كتابه" البيعة بين السنة والبدعة "[٩٦] الذي أراد فيه أن يبطل شريعة البيعة والإمارة لغير الخليفة، حيث قوّل ابن تيمية ما لم يقل ونسب إليه مالا يصح عنه .. فنقل عنه قوله في"

---

[٩٢] فتح الباري:٧/ ٥٨٦.

[٩٣] المغني:٧/ ١٦٧.

[٩٤] صحيح سنن أبي داود:٢٣٨٧.

[٩٥] عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٢٠٩/٧.

[٩٦] طبع المكتبة الإسلامية.

مجموع الفتاوى" ٢٨/ ١٨:" من أنه إذا كان مقصودهم بهذا الاتفاق والانتماء والبيعة التعاون على البر والتقوى، فهذا قد أمر الله به ورسوله، له ولغيره، دون ذلك الاتفاق، وإن كان المقصود به التعاون على الإثم والعدوان، فهذا قد حرمه الله ورسوله، فما قصد بهذا من خير، ففي أمر الله ورسوله بكل معروف، استغناء عن ذلك الاتفاق، وما قصد بهذا من شر فقد حرمه الله ورسوله"[٩٧].

قلت: وهذا ليس هو نص ابن تيميه كما هو في" مجموع الفتاوى" (١٨/٢٨)، وكان رحمه الله يجيب عن علاقة التلميذ بمعلمه، وعن شرعية شد وسط التلميذ لمعلمه، ولم يشر قط إلى البيعة والاتفاق، وإليك قوله[٩٨]:"ولا يشد وسطه لا معلمه ولا لغير معلمه؛ فإن شد الوسط لشخص معين وانتسابه إليه .كما ذكر في السؤال . من بدع الجاهلية، ومن جنس التحالف الذي كان المشركون يفعلونه، ومن جنس تفرق قيس ويمن،(فإن كان المقصود بهذا الشد والانتماء التعاون على البر والتقوى فهذا قد أمر الله به ورسوله له ولغيره بدون هذا الشد، وإن كان المقصود به التعاون على الإثم والعدوان فهذا قد حرمه الله ورسوله، فما قصد بهذا من خير ففي أمر الله ورسوله بكل معروف استغناء عن أمر المعلمين، وما قُصد بهذا من شر فقد حرمه الله ورسوله). فليس لمعلم أن يحالف تلاميذه على هذا "[٩٩]ا– هـ.

فتأمل الفارق بين نقل مؤلف" البيعة " وبين حقيقة قول ابن تيميه .. وكيف أنه حرف كلامه عن الشد والانتماء .. إلى الاتفاق والانتماء والبيعة .. فلم يأت على ذكر كلمة الشد .. وأضاف من عنده كلمة البيعة .. انتصاراً لمذهبه الخاطئ في المسألة؟!!

وقد أخطأ ثانية .. وقال على السلف الصالح مالا ينبغي .. وبغير علم .. عندما قال في كتابه المذكور:" أين كان سلف هذه الأمة عن مثل هذه البيعات الاستثنائية؟ وهل نستطيع أن نصل بعقولنا وأهوائنا إلى خير نظنه فات صالحي هذه البيعات الاستثنائية التي لم ترد في نص قرآني، أو حديث نبوي، أو فعل أحد من السلف الصالح تعد بدعة ومحدثة !!"[١٠٠]ا– هـ.

قلت: وهذا وهم خطأ ظاهر .. وهو مردود بالكتاب، والسنة، وعمل السلف الصالح، وإليك بيان ذلك:

---

[٩٧] كتاب البيعة، صفحة:٣٦. كنا نود أن لا نعلق على هذا النقل الخاطئ لو أن الرجل اعترف وتراجع .. ولكنه . في منزل الشيخ أبي أنس موسى نصر، وبحضور سليم الهلالي، ومشهور حسن . أصر على أنه لم يقوّل ابن تيمية حرفاً واحداً زيادة عما قال .. ولم يعطنا وقتئذٍ . لشدة غضبه وارتفاع صوته وشغبه ..! . فرصة لنبين له وجه خطئه .. فقلت له: لندع القراء إذاً هم الذين يحكمون .. ويعرفوا من منا الذي كذب على ابن تيمية وقوله ما لم يقل .. وكان الرجل قبل ذلك يثني على كتبي خيراً .. فانقلب بعد هذا الحدث إلى طعّانٍ وشتّام لنا .. ولكتبنا .. وكان ذلك قبل أن يُطبع هذا الكتاب، ويرى النور!!

[٩٨] نقلت بضعة أسطر قبل النص المختلف عليه، ليدرك القارئ المراد من كلام ابن تيميه.

[٩٩] مجموع الفتاوى:٢٨/ ١٧– ١٨.

[١٠٠] صفحة ٣٣، وانظر صفحة ٣٢ و ٣٧ و ٣٩.

ـ معنى البيعة:

قبل أن نثبت شرعية البيعة لغير الخليفة .. ونأتي على ذكر النصوص الواردة في الكتاب والسنة، والآثار الثابتة عن السلف الصالح .. لا بد من أن نقف أولاً على معنى البيعة؛ ليدرك القارئ مدى احتمال الأدلة ـ التي سنأتي على ذكرها ـ لمعنى البيعة .. والبيعة المختلف عليها.

البيعة: هي عهد وميثاق وعقد، يربط بين طرفين على أمر يتم التعاقد والتواثق عليه.

قال ابن الأثير في"النهاية" ١/١٧٤: في الحديث" أنه قال: ألا تبايعوني على الإسلام " هو عبارة عن المعاقدة عليه والمعاهدة ا– هـ.

وقال ابن منظور في"لسان العرب" ٨/٢٦: وقد تبايعوا على الأمر، كقولك اصفقوا عليه، وبايعه عليه مبايعة: عاهده ا– هـ. ثم نقل كلام ابن الأثير المتقدم.

وفي"المعجم الوسيط" ١/٨٢: بايعه مبايعة، وبياعاً : عقد معه البيع، وفلاناً على كذا: عاهده وعاقده عليه ا– هـ.

والعهد: يكون بمعنى اليمين، والأمان، والذمة، والحفاظ، ورعاية الحرمة، والوصية. ولا تخرج الأحاديث الواردة فيه عن أحد هذه المعاني[١٠١].

والميثاق: العهد، مفعال من الوثاق[١٠٢].

وقال الراغب الأصفهاني: الميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد[١٠٣].

هذا معنى البيعة، والعهد، والميثاق .. **فهل يجوز التعاقد والتعاهد على فعل الطاعات .. ومن ذلك ما يُسمونه بالبيعات الاستثنائية التي تُعطى لغير الخليفة أو الإمام العام ..؟!**

هذا ما سنجيب عليه في التفصيل التالي:

أولاً: الدليل من القرآن الكريم على شرعية أخذ العهود والمواثيق على فعل الطاعات .. ومن أعظم الطاعات الجهاد في سبيل الله .. والعمل من أجل استئناف حياة إسلامية وقيام خلافة راشدة.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ. وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ النحل:٩٢.

---

[١٠١] النهاية: ٣/ ٣٢٥.

[١٠٢] النهاية: ٥/ ١٥١.

[١٠٣] المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني.

قال ابن كثير: هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكد.

وروى ابن جرير بسنده عن بريدة في قوله:﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام ﴿وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، لا يحملنكم قلة محمد وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام[١٠٤]. فانظر كيف فسر العهد بالبيعة.

وقال ابن تيميه في التلميذ الذي يحالف أستاذه ثم ينتقل عنه إلى محالفة غيره: لا ريب أنهم إذا كانوا على عادتهم الجاهلية . أي من علمه استاذ كان محالفاً له . كان المنتقل عن الأول إلى الثاني ظالماً باغياً ناقضاً لعهده غير موثوق بعقده؛ وهذا أيضاً حرام وإثم، وهذا أعظم من إثم من لم يفعل مثل فعله؛ بل مثل هذا إذا انتقل إلى غير أستاذه وحالفه كان قد فعل حراماً؛ فيكون مثل لحم الخنزير الميت ! فإنه لا بعهد الله ورسوله أوفى، ولا بعهد الأول؛ بل كان بمنزلة المتلاعب الذي لا عهد له، ولا دين له ولا وفاء. وقد كانوا في الجاهلية يحالف الرجل قبيلة فإذا وجد أقوى منها نقض عهد الأولى وحالف الثانية . وهو شبيه بحال هؤلاء . فأنزل الله تعالى:﴿وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ. وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾.

ومن حالف شخصاً على أن يوالي من والاه ويعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين؛ بل هؤلاء من عسكر الشيطان، ولكن يحسن أن يقول لتلميذه: عليك عهد الله وميثاقه أن توالي من والى الله ورسوله، وتعادي من عادى الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان، وإذا كان الحق معي نصرت الحق، وإن كنت على الباطل لم تنصر الباطل. فمن التزم هذا كان من المجاهدين في سبيل الله تعالى، الذين يريدون أن يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا[١٠٥].

فتأمل كيف أن شيخ الإسلام ابن تيميه . رحمه الله . أقر شرعية العهود بين الأستاذ وتلميذه على فعل الطاعات وما أمر به أن يوصل، واعتبر ذلك من الجهاد في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا، أما الذي لا يجوز أن تنعقد عليه العهود والمواثيق هو كل أمر فيه معصية لله تعالى؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. ولا نذر .. ولا وفاء في معصية.

---

[١٠٤] تفسير ابن كثير: ٢/ ٦٠٥.

[١٠٥] الفتاوى: ٢٨/ ١٩ . ٢١.

فالعلة فيما يجوز من العهود وما لا يجوز، هو ما يتم عليه التعاهد والتعاقد، وليس ذات العهد أو العقد .. فإن كان المتعاقد عليه يتضمن معصية لله تعالى فهو باطل ولا يجوز إنفاذه ولا التعاقد عليه، وإن كان حقاً وفيه طاعة لله ولرسوله، فهو حق يجب إنفاذه والالتزام به، وبخاصة إذا أخذت عليه العهود والمواثيق فإن أحقيته تصبح مضاعفة، والوفاء به أوجب وأوكد من جهة أن الله تعالى قد أمر به، ومن جهة أنه أعطى عهداً وميثاقاً على القيام به .. والوفاء بالعهد واجب يزيد الواجب وجوباً، كما قال تعالى:﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾الإسراء: ٣٤.

وقال تعالى:﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾البقرة:١٧٧.

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾المائدة:١.

وجعل سبحانه وتعالى نقض العهد والميثاق من صفة المنافقين الفاسقين، كما قال عنهم:﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾البقرة:٢٧.

وقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الرعد:٢٥.

وكذلك مما يستدل به على شرعية العهود على الطاعات ما حصل بين يعقوب وأبنائه عندما أخذ منهم عهداً وموثقاً .. على أن يأتوا بأخيهم، كما قال تعالى:﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ يوسف:٦٦.

قال صاحب"العمدة": فلما طلب يوسف عليه السلام من إخوته أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم، لم يأمنهم أبوهم عليه، ورفض أن يرسله معهم حتى يؤتوه ميثاقاً، وهذا الميثاق في معاملات الناس قد سماه الله تعالى:﴿ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ ﴾، ولبيان غلظ هذه المواثيق قال كبيرهم . لما احتجز يوسف عليه السلام أخاه .: ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ يوسف:٨٠.

وكذلك قول الله تعالى في الشرط الذي أخذه الخضر على موسى عليه السلام ليصحبه، والشرط الذي اشترطه موسى على نفسه عليه السلام.

أما شرط الخضر ففي قوله تعالى:﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ الكهف:٧٠.

وأما ما اشترطه موسى على نفسه ففي قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾ الكهف:٧٦.

وقد عقد البخاري رحمه الله لهذه المسألة باباً في كتاب الشروط من صحيحه، وهو (باب الشروط مع الناس بالقول). وأورد فيه حديث ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام:" كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً " حديث ٢٧٢٨.

قال ابن حجر: وأشار بالشرط إلى قوله:﴿ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي﴾ والتزم موسى بذلك، ولم يكتبا ذلك ولم يشهدا أحداً، وفيه دلالة على العمل بمقتضى ما دل عليه الشرط، فإن الخضر قال لموسى لما أخلف الشرط ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ ولم ينكر موسى عليه السلام ذلك[١٠٦].

فهذه الأدلة السابقة تبين جواز العهود والمواثيق والشروط بين الناس على فعل الطاعات ا– هـ.

ـ كلام لابن تيمية في أن الأيمان والعهود تزيد الطاعات توكيداً ووجوباً:

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة كما يجب عليه الصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، وحج البيت وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة؛ فإذا حلف على ذلك كان ذلك توكيداً وتثبيتاً لما أمر لا يحل له أن يفعل خلاف المحلوف عليه، سواء حلف بالله أو غير ذلك من الأيمان التي يحلف بها المسلمون؛ فإن ما أوجبه من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب وإن لم يحلف عليه .. فكيف إذا حلف عليه ؟!

وهذا كما أنه إذا حلف ليصلين الخمس، وليصومن شهر رمضان، أو ليقضين الحق الذي عليه، ويشهدن الحق فإن هذا واجب عليه وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه ؟!

وما نهى الله عنه ورسوله من الشرك، والخروج عما أمر الله والكذب، وشرب الخمر، والظلم، والفواحش، وغش ولاة الأمور، به من طاعتهم: هو محرم وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه ؟!

ولهذا من كان حالفاً على ما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم، أو الصلاة، أو الزكاة، أو صوم رمضان، أو أداء الأمانة، والعدل ونحو ذلك: لا يجوز لأحد أن يفتيه بمخالفة ما حلف عليه، والحنث في يمينه، ولا يجوز له أن يستفتي في ذلك. ومن أفتى مثل هؤلاء بمخالفة ما حلفوا عليه، والحنث في أيمانهم فهو مفتر على الله الكذب، مفت بغير دين الإسلام؛ بل لو أفتى آحاد العامة بأن يفعل خلاف ما

---

[١٠٦] فتح الباري:٥/٣٢٦.

حلف عليه من الوفاء في عقد بيع، أو نكاح، أو إجارة أو غير ذلك مما يجب عليه الوفاء به من العقود، التي يجب الوفاء بها وإن لم يحلف عليها، فإذا حلف كان أو كد، فمن أفتى مثل هذا بجواز نقض هذه العقود، والحنث في يمينه كان مفترياً على الله الكذب، مفتياً بغير دين الإسلام، فكيف إذا كان ذلك في معاقدة ولاة الأمور التي هي أعظم العقود التي أمر بالوفاء بها ؟![١٠٧].

ثانياً: الدليل من السُّنة، وفعل السلف الصالح.

جميع ما تقدم من أدلة تدل على شرعية الإمارة لغير الخليفة . في حال غيابه . تصلح أن تكون دليلاً على شرعية البيعة" الاستثنائية " لغير الخليفة؛ لأن من لوازم الإمارة .. واستتباب الأمن والنظام البيعة والطاعة .. وإضافة إلى ما تقدم نضيف هنا الأدلة التالية:

١- **بيعة العقبة**: الأولى والثانية، حيث أعطيت للنبي ﷺ . في مرحلة الاستضعاف والتخفي . قبل التمكين وقبل أن يكون رئيساً على دولة لها مقومات الخلاف العامة . التي تعتبر شرطاً عند المانعين لصحة البيعة . لهو دليل صريح وصحيح على جواز إعطاء البيعة لمن لم تكتمل فيه صفات الخليفة العام من حيث الظهور والتمكين.

والقول بأن هذه البيعة كانت من خصوصيات النبي ﷺ دون غيره؛ بحيث لا يجوز لأحد . غير الخليفة العام . أن يفعل ما فعله النبي ﷺ، أو أن يطلب البيعة والنصرة على الجهاد والعمل من أجل إعلاء كلمة الله .. قول يحتاج إلى دليل مخصص .. وأنّى !

ولما عُدم الدليل المخصص .. وكذلك قول واحد من السلف الصالح يفيد التخصيص، علم أن القول بالتخصيص . في هذه المسألة . قول باطل مردود لا تقوم به حجة .. ولا يُلتفت إليه.

واعتبار مؤلف كتاب "البيعة" أن القول بعدم التخصيص لا يقدم عليه إلا من"كان في الضلالة عريقاً[١٠٨]" هو اعتبار فيه غلو وشدة وغلظة .. لا يقدم عليه إلا جاهل بالنص والمأثور .. بل هو شتم صريح يطال سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم؛ لأنه لم يثبت عن أحد منهم أنه قال بالتخصيص، بل الثابت عنهم خلاف ذلك كما سيأتي بيانه في موضعه.

ثم أن المسألة ليست من الأصول .. ولا من الكليات العامة .. التي يترتب على المخالف فيها أن يكون عريقاً في الضلال ..!!

لذا كنا . ولا نزال . نرجو من صاحب كتاب البيعة أن يعتذر عن عبارته هذه، ويتوب إلى الله منها .. ويمحها من كتابه إن ظهر له أنه لا يزال على الحق فيما ذهب إليه، وأراد طباعة الكتاب ثانية.

---

[١٠٧] مجموع الفتاوى: ٣٥/ ٩-١١.

[١٠٨] هي عبارة المؤلف، انظر صفحة ٣٤.

٢- قد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، قضاء الله أحق وشرط الله أوثق " متفق عليه.

فيه دليل على شرعية الاشتراط والعهود ما لم تكن مخالفة لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ؛ لأنه من أصول الشريعة أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا نذر في معصية .. ولا وفاء في معصية .. فإذا عُدمت المخالفة الشرعية تعين الوفاء بالشرط وبخاصة إن كان على أمر فيه طاعة لله ولرسوله، فإن الوفاء به حينئذٍ يكون أوجب وألزم، كما في الحديث الصحيح:" المسلمون عند شروطهم " أي وفاء والتزاماً بها.

ولشدة حرص الإسلام على الوفاء بالعهد قد أمر النبي ﷺ حذيفة بن اليمان بأن يفي بعهده لقريش وأن لا يقاتل معه في بدر[١٠٩]، كما في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل . والده . قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا إنكم تريدون محمداً فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرف إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال:" انصرفا، نفي لهم بعدهم ونستعين الله عليهم ".

قلت: إذا كان على المسلم أن يفي بعهده الذي قطعه عليه الكفار، وإن كان مؤداه إلى ترك مقاتلتهم مع أفضل خلق الله، وفي أشرف وأقدس معركة وهي"بدر" أليس من باب أولى إن عاهد المسلم أخاه المسلم . عن رضى وطواعية . على الجهاد في سبيل الله وغيرها من الطاعات، أن يفي بعهده وشرطه ؟!

فتأمل يا عبد الله واحذر أن يخونك فقهك وتعمى بصيرتك ..!

وكذلك فقد جعل النبي ﷺ نقض العهد من خصال النفاق والمنافقين، كما في صحيح مسلم وغيره: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها؛ إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر ".

٣- ومما يدل كذلك على شرعية أخذ العهود والمواثيق على الطاعة في الخير، ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ، قدم مكة فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، فرآه علي فعرف أنه غريب، فقال له: ألا تحدثني ما لذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاق لترشدنني فعلت، ففعل، فأخبره، قال:فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني ..[١١٠].

---

[١٠٩] لأن القتال يوم بدر لم يكن واجباً على جميع من يتعين عليه القتال عندما يتعين الجهاد، بدليل أن النبي ﷺ لم يستنفر معه للقتال إلا المهاجرين، أما عندما يتعين جهاد الكفار على الجميع، فشرط ترك مقاتلتهم شرط باطل، وشرط الله أوثق وأحق بالوفاء .. والله تعالى أعلم.

[١١٠] انظر تمام قصة إسلام أبي ذر في الصحيح، حديث:"٣٨٦١". وفيها شرعية الاستعانة بالكتمان والسرية عند الضرورة؛ عندما تكون الدعوة والدعاة هدفاً للطغاة الظالمين.

فهذا أبو ذر ﷺ يأخذ من علي ﷺ عهداً وميثاقاً ليطيعنه فيما يطلب منه من إرشاد لما يبحث عنه، إن عرفه عن سبب قدومه .. وعلي يُعطيه عهداً على ذلك.

والقارئ يعلم أن أبا ذر لم يكن وقتها خليفة ولا أميراً، ولا حتى مسلماً، ومع ذلك فإن علي بن طالب ﷺ يستجيب لمطلبه ويعطيه العهد والميثاق على ذلك.

٤- وكذلك ما رواه البخاري في قصة البيعة والاتفاق على عثمان ﷺ، وفيه أن عبد الرحمن بن عوف قال لعثمان وعلي: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه[١١١]، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأُسكت الشيخان. فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليّ والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قدم علمت، فالله عليك لئن أمّرتك لتعدلن، ولئن أمّرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه.

وهذا أيضاً عبد الرحمن بن عوف لم يكن خليفة، وقد أخذ على عثمان وعلي رضي الله عنهما موثقاً وعهداً ليطيعانه فيمن يختاره للخلافة.

٥- وكذلك ما فعله عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك، قال ابن كثير: قال سيف بن عمر عن أبي عثمان الغساني عن أبيه قال: قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً، وقتل منهم خلق، منهم خلق، منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم. وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صُرعوا من الجراح استسقوا ماءً فجيء إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه آخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم، رضي الله عنهم أجمعين[١١٢].

فعل ذلك عكرمة . ولم يكن خليفة ولا أميراً . على ملأ من الصحابة من دون أن ينكر عليه أحد منهم .. وهذا إقرار وتصويب منهم لما قد فعله عكرمة ﷺ.

قال ابن كثير: قال سيف بن عمر إسناده إلى شيوخه: إنهم قالوا كان في ذلك الجمع . يوم اليرموك . ألف رجل من الصحابة، منهم مائة من أهل بدر[١١٣]. وهذا يعني أنه إجماع من الصحابة رضي الله عنهم على تصويب وشرعية ما فعله الصحابي ﷺ.

---

[١١١] أي يتنازل عن أن يكون خليفة وتوكل إليه مهمة تعيين الخليفة.

[١١٢] البداية والنهاية:٧/ ١١.

[١١٣] البداية والنهاية: ٧/ ٩.

٦- ونحوه ما حصل في صفين، عندما جعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه قيس بن سعيد بن عبادة رضي الله عنهما على مقدمة أهل العراق، وكانوا أربعين ألفاً بايعوه على الموت[١١٤]. وقيس حينئذ لم يكن خليفة ولا أميراً عاماً للجند .. ومع ذلك تمت له مثل هذه البيعة الاستثنائية.

٧- كذلك مبايعة أهل الكوفة للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، للخروج على يزيد بن معاوية، فبايعه منهم ثمانية عشر ألفاً [١١٥]. والحسين لم يكن خليفة ولا أميراً عاماً ..!

٨- وكذلك فإن السنة دلت أن المهدي الذي بشر النبي ﷺ بظهوره، يُعطى البيعة من المسلمين وهو لها كاره، قبل أن يكون خليفة أو يمكّن له في الأرض .. وهذا دليل قوي في المسألة.

٩- وكذلك مبايعة الناس عبد الرحمن بن الأشعث، للخروج على الحجاج وخليفة الوقت عبد الملك بن مروان، ووافقه على خلعهما جميع من في البصرة من الفقهاء والقراء والشيوخ والشباب، وكان من جملة من بايع ابن الأشعث، جبلة بن زحر، وسعيد بن جبير، والشعبي وغيرهم من العلماء ..!

وكذلك مبايعة أهل البصرة عبد الرحمن بن عياش بن ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب، على قتال الحجاج سنة اثنتين وثمانين[١١٦].

١٠- كذلك مبايعة الناس لـ " محمد النفس الزكية "، وقد بايعه أهل المدينة للخروج على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة١٤٥. وممن أفتى ببيعته الإمام مالك ..[١١٧].

١١- كذلك بيعة أحمد بن نصر الخزاعي، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على الخليفة الواثق لفسقه وبدعته.

قال ابن كثير: ثم دخلت سنة ٢٣١، وفيها كان مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله وأكرم مثواه، وقد بايعه العامة في سنة إحدى ومائتين على القيام بالأمر والنهي حين كثرت الشطار[١١٨] والدعار في غيبة المأمون عن بغداد، وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير، وكان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، إلى أن قال: فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على السلطان لبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن، ولما هو عليه وأمراؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها[١١٩].

---

[١١٤] قال ابن حجر: أخرجه الطبري بسند صحيح، فتح الباري: ١٤/ ٦٧.

[١١٥] انظر البداية والنهاية:٨/١٥٤.

[١١٦] انظر البداية والنهاية:٩/ ٣٨ -٤٢.

[١١٧] انظر البداية والنهاية:١٠/ ٨٥ -٨٦.

[١١٨] هم الماكرون المفسدون .

[١١٩] البداية والنهاية:١٠/ ٣١٦- ٣١٧.

والحوادث التي تثبت اشتغال سلفنا الصالح بمثل هذا النوع من البيعات والعهود، هي أكثر من أن تحصى في هذا المبحث، وهي من حيث الظهور والتواتر أجلى من أن يقول قائل:" أين كان سلف هذه الأمة مثل هذه البيعات الاستثنائية؟" كما ورد في كتاب البيعة .. لصاحبه المذكور!!

ـ تنبيه: قولنا بشرعية الجهاد في سبيل الله في حال غياب الخليفة العام للمسلمين، لا يستلزم منه أن يقوم كل فرد من الأمة بواجب الجهاد بطريقته الفردية، وبالأسلوب الذي يهواه .. ومن دون مراعاة للمصالح والمفاسد التي يمكن أن تترتب على تصرفاته .. فهذا تصرف لا يُسلم به، **وهو محظور من أوجه:**

١– منها، أنه يؤدي إلى الفرقة والتنازع، والفشل والضعف والفوضى، والله تعالى قد أمر بالجماعة والوحدة والتنظيم، وبجميع أسباب القوة، ونهى عن كل مظاهر التفرق والتنازع والضعف والضياع، كما قال تعالى:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾آل عمران: ١٠٣. وقال تعالى:﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾الأنفال:٤٦. وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ الصف:٤.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد "[١٢٠].

وأكثر الأخطار تهديداً لأمن وسلامة الجماعات الجهادية .. والذي يُعيق من مسيرتها نحو أهدافها .. هو عدم وجود هذا التنسيق الكافي فيما بينها، الذي يرقى إلى مستوى المعركة الضخمة التي تُحاك ضد الإسلام والمسلمين!

٢– ومنها، أنه قد يؤدي إلى فتنة أشد وأعظم من الفتنة أو المنكر المراد إزالته، لأن التصرف الفردي . في الغالب . يتصف بالامسؤولية والضعف، وعدم الدراية الكافية لما يصلح وما لا يصلح، وما يجب القيام به وما يجب الإمساك عنه، بخلاف الجماعة . التي تضم كثير الطاقات والإمكانيات الخيرة . القائم عملها على التنظيم والتخطيط، والتعاون والتشاور، والدراسة الدقيقة لما يجب القيام به .. وما يترتب عليه من نتائج.

٣– ومنها، أن من لوازم الجهاد وشروطه، إعداد القوة اللازمة للقيام بواجب الجهاد، وهذه مهمة جماعية . تتضافر على تحقيقها جميع الطاقات والإمكانيات الخيرة، وكل بحسب طاقته . يصعب على فرد مستقلاً بنفسه أو مجموعة أفراد .. القيام بها من دون أن يصب جهدهم وإمكانياتهم مع جهد غيرهم من المجاهدين العاملين؛ لذا جاء الأمر بالإعداد بصيغة الجمع من دون أن يستثني أحداً من أفراد الأمة، كما قال تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّة﴾الأنفال: ٦٠. وقال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾

---

[١٢٠] تقدم تخريج الحديث.

المائدة:٢. وأفضل التقوى والبر الذي يُتعاون عليه، هو التعاون على إعلاء كلمة الله في الأرض، والجهاد في سبيل الله ﷻ.

والإعداد واجب على كل مسلم بحسب استطاعته وظروفه، فأفضلهم الذي يعد للجهاد بنفسه وماله .. وأدناهم الذي يشارك بالنصيحة والدعاء للمجاهدين، والذود عن أعراضهم وحرماتهم . وهو جهد مشكور عندما تتطاول ألسنة المثبطين المخذّلين على المجاهدين وحرماتهم . وليس وراء إخلاص الدعاء للمجاهدين إلا النفاق والعياذ بالله، كما قال تعالى عن المنافقين:﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة:٤٦.

وقال تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾التوبة:٩١.

ليس على هؤلاء المعذورين من حرج بشرط أن يُخلصوا في النصح لله ورسوله والمؤمنين .. وتسلم سرائرهم من الضغينة أو الغش للمجاهدين!

٣- الصفة الثالثة: يوالون ويعادون في الله.

من أبرز خصال وصفات الطائفة المنصورة، أنهم يوالون ويحبون في الله .. ويعادون ويكرهون في الله .. فهم أذلة على المؤمنين رحماء فيما بينهم، أعزة على الكافرين أشداء عليهم .. لا يعرفون ولاء إلا ولاء العقيدة الذي يُعقد في الله تعالى، كما قال تعالى:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾الفتح:٢٩.

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة:٥٤.

وهذه آية تكاد تجمع أخص صفات الطائفة المنصورة؛ التي منها صفة الاتباع، ويظهر ذلك في قوله:﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وهذه ميزة لا ينالها إلا من تحققت فيه صفة كمال الاتباع لسنة النبي ﷺ، كما قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله ﴾ آل عمران:٣١. فكلما كمل اتباع العبد، كلما كمل حبه لله تعالى وحب الله له .. فكمال اتباعهم للنبي ﷺ دليل على كمال حبهم لله ﷻ .. فكل منهما لازم وملزوم للآخر وعلامة دالة عليه.

ومنها: صفة الجهاد في سبيل الله، وأنهم لا يخافون في الحق لومة لائم، ويظهر ذلك في قوله: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾المائدة:٥٤.

ومنها: صفة الولاء والبراء اللذان يعقدان على أساس الانتماء الإيماني العقدي، ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾المائدة:٥٤.

وكما قال تعالى عنهم في آية أخرى:﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾التوبة: ٧١.

وقال تعالى:﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾آل عمران:٢٨.

وجعل سبحانه وتعالى موالاتهم من دون المؤمنين قرينة دالة على النفاق والكفر والكذب، وإن زعموا بلسانهم خلاف ذلك، كما قال تعالى:﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ المائدة:٨١.

وقال تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾المائدة:٥١.

وقال تعالى:﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾الكهف:١٠٢.

فهذا مستحيل أن يحصل ولو حصل شيء منه لخرجوا عن صفة العبودية لله ﷻ إلى عبودية الشيطان والطاغوت كما قال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لأعراف:٢٧. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾البقرة:٢٥٧.

والموالاة والمعاداة في الله من أوثق عرى الإيمان، وهي صفة لا تتحقق إلا عند كاملي الإيمان كما قال ﷺ:" أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز وجل"[١٢١].

وقال ﷺ:" من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان "[١٢٢].

والذي نريد إثباته هنا أن الطائفة المنصورة . صفوة الأمة جهاداً وعملاً . يعقد ولاؤهم وبراؤهم على أساس الانتماء العقدي الديني وليس شيئاً آخر غير ذلك؛ فهم يحبون ما يحبه الله ويرضاه، ويبغضون ما يبغضه الله ويسخطه، ومن دون أن يلتفتون إلى أي اعتبار أو رابط أرضي آخر، فالمرء عندهم بقدر طاعته لله ولرسوله، وبقدر قربه من الحق بقدر ما يعطى من الود والموالاة والنصرة، وبقدر عصيانه وبعده عن طاعة الله ورسوله بقدر ما يعطى من الجفاء والمعاداة .. بغض النظر عن لونه، ولغته، وموطنه .. ولا يستحق مطلق المعاداة والمجافاة إلا من كان كافراً محاداً لله ولرسوله .. وعبداً للشيطان والطواغيت.

فميزان التفاضل في نظر الإسلام .. هو ميزان التقوى والعمل الصالح .. بغض النظر عن اللون أو الجنس أو العرق، كما قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾الحجرات:١٣.

---

[١٢١] رواه أحمد والحاكم والطبراني، صحيح الجامع: ٢٥٣٩.

[١٢٢] أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة:٣٨٠.

فهذا هو الميزان الذي على أساسه يتم التفاضل والتمايز .. ويُعطى الولاء أو البراء .. وهو ما تلتزم به الطائفة المنصورة في تعاملها مع الآخرين؛ أما أولئك الذين يعقدون الولاء والبراء على أساس روابط ووشائج أخرى غير وشيجة العقيدة والإيمان .. فهم على خطر كبير .. ومن أبعد ما يكونون عن أخلاق وصفات الطائفة الظاهرة المنصورة .. مهما تشبعوا بلسانهم على أنهم منهم.

ـ صور من الولاءات الجاهلية الواسعة الانتشار في الأمة ينبغي التحذير منها

لكي يستبين سبيل المجرمين، ويتميز الحق من الباطل لا بد من أن نشير إلى بعض الصور من الولاءات الجاهلية الواسعة الانتشار .. فرقت الأمة في تكتلات وانتماءات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان .. يعقد على أساسها كثير من الناس الولاء والبراء؛ فيوالون ويعادون، ويقسمون الحقوق والواجبات فيما بينهم على أساس الانتماء إليها من دون الله ﷻ، من هذه الصور[١٢٣]:

١- انعقاد الولاء والبراء على أساس الانتماء الحزبي: وصورته أن تُعقد الموالاة والمعاداة على أساس الانتماء إلى الحزب، فمن كان من الحزب أو أنصار الحزب والوه وقربوه، ووصلوه، ومن كان ليس من الحزب وليس من أنصاره عادوه وجافوه بغض النظر عن دينه وأخلاقه وسلوكه ..!

ومن صوره كذلك مناصرة الحزب وتأييده في الحق والباطل، وعلى الخير والشر .. لكون هذه المواقف صادرة عن الحزب!

فإذا ما ذُكر الحزب بشيء من النقد وإن كان حقاً سرعان ما تثور ثائرتهم .. ويشتد غضبهم وإنكارهم على من تجرأ فوجه ذلك النقد ..!

فكل شيء عندهم قابل للنقد والتقييم والتعقيب إلا الحزب ورجالات الحزب .. ومبادئ وأفكار الحزب؟!!

ومن مظاهره كذلك أن ينال كل ما يصدر عن الحزب من تعليمات وتوجيهات القبول التام لكونها صادرة عن الحزب أو الجماعة .. بغض النظر عن صوابها أو خطئها .. أو موافقتها للحق .. ومن دون أن يردها إلى الشرع ويعرف حكم الله فيها!

ومن مظاهره كذلك تقديم أقوال الحزب وحكمه على قول الله ورسوله .. وهو من أشنع ما يؤخذ على من يقع في الولاء الحزبي المذموم !

ومنه كذلك أن لا يُقبل الحق إلا إذا جاء من خلال قنوات الحزب .. ولو جاء من غير طريق الحزب لا ينال عندهم القبول أو نفس القبول كما لو جاءهم عبر طريق الحزب وقنواته ..!

---

[١٢٣] كنا قد تناولنا بعض هذه الصور في كتابنا " أعمال تخرج صاحبها من الملة " .. وإتماماً للفائدة نعيد بعض ما كنا قد كتبناه هناك.

ومن علامات ذلك أنك إن جادلت أحدهم في مسألة ما ويكون الحق بجانبك ومع ذلك تراه يماري ويجادل ويقلل من قيمة هذا الحق الذي أنت عليه .. فإذا أخبرته بأن هذا الذي تقول به هو قول الحزب وقول قادة حزبه .. تراه يتراجع عن جداله ومماراته ويقر لك أن هذا هو الحق المبين ..!!

ولو وقع قادة الحزب في خطأ جلي ظاهر .. تراهم يتأولون لهم خطأهم ويقيلون عثرتهم، ويقللون من شأن خطئهم وكأنه لم يكن .. بينما لو وقع حزب آخر أو شخص آخر بنفس الخطأ بل وأقل منه تراهم لا يرحمونه .. حيث يحملون عليه أسوأ عبارات الطعن والتجريح، والتأثيم ..؟!!

فهذه الصور كلها من الولاء الحزبي المذموم، ومما قد نهى الله تعالى عنه، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٩٢/١١: وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم.

وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم، سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله، فإن الله ورسوله أمر بالجماعة والإئتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان ا– هـ.

وقال ٢٠/٢٨: من حالف شخصاً على أن يوالي من والاه، ويُعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين بل هؤلاء من عسكر الشيطان ا– هـ.

٢- موالاة العالم أو الشيخ لذاته .. وانعقاد الولاء والبراء على أساس الانتماء المشيخي:

من صور الموالاة الباطلة السائدة في أمصار المسلمين موالاة الشيخ لذاته .. ولها صور عدة:

منها: أن الناس يحبونه لذاته؛ فيوالون فيه ويُعادون فيه .. يوالون من يواليه ويدخل في طاعته .. ويُعادون من يُعاديه أو يجافيه .. بغض النظر عن اعتبار الدين والخلق .. وأيهم أحسن عملاً ؟!

ومنها: التعصب لأقواله ومذاهبه في الحق والباطل .. فيما أخطأ فيه أو أصاب .. والقتال دونها .. لكونها صادرة عنه .. ومن دون ردها إلى الكتاب والسنة ..!

ومنها: أن أتباعه لا يقبلون في حق شيخهم نقداً .. ولا تعقيباً .. فهم لا يُطيقون أن يروا أحداً يعقب عليه في مسألة أو جزئية . ولو كان محقاً . ومن يفعل .. فسرعان ما تثور ثائرتهم عليه بالإنكار والزجر، والتوبيخ .. لأن الشيخ في نظرهم فوق أن يُعقب أو يُستدرك عليه في شيء..؟!

ومنها: أنهم يتعاملون مع كلامه وفتاويه بقدسية بالغة .. كأنها أحرف منزلة من السماء .. غير قابلة للنقاش أو الرد ..؟!

فكل يؤخذ منه ويُرد عليه .. عدا شيخهم فإنه يؤخذ منه ولا يُرد عليه .. وهذا إن لم يقولوه بلسان القال فإنهم يقولونه بلسان الحال والعمل .. وهو في كثير من الأحيان أصدق تعبيراً من لسان القال ..!

ومنها: تقديم قوله على الكتاب والسنة .. تحت زعم أن الناس لا يفهمون الكتاب والسنة .. وهم دون الشيخ فهماً وعلماً .. وأن الشيخ هو أفهمهم وأعلمهم بالكتاب والسنة .. فهو لم يخالفهما إلا لوجه معتبر عنده يعرفه هو والآخرون لا يعرفونه ..؟!!

ومنها: رد الحق إذا جاء مخالفاً لقوله .. فالقول قوله وإن كان باطلاً معارضاً لصريح الأدلة من الكتاب والسنة!

ومنها: أن الحق لا يُقبل إلا إذا جاء منه أو من طريقه .. ولو جاء من طريق غيره لا ينال عند القوم نفس القبول كما لو جاء عن طريق شيخهم ..؟!

ومنها: حمل أخطائه دائماً على التأويل والمحمل الحسن .. بينما لو وقع غيره بنفس الأخطاء فإنه يُفسق ويُجرّم .. وتقوم عليه الدنيا ولا تقعد!

فهم يرضون . أو على الأقل لا يُبالون! . أن يُقال أسوأ القول في أي شيخ أو شخص آخر .. فالأمر عليهم هيناً لا يثير حفيظتهم أو غضبهم .. أما أن يُقال شيء من ذلك في شيخهم . ولو بالحق . فهذا غير ممكن .. ولا يُسمح به !

لحمه مسموم بالسم الأصفر القاتل .. الويل لمن يقترب منه .. ولحوم غيره من أهل العلم والفضل .. مشوية ومبهرة وشهية .. لا حرج من نهشها وأكلها ..!

فالناس إن وصلوا إلى هذا الموصل في التعامل مع شيوخهم أو علمائهم .. فإنه يُحمل عليهم . ولا بد . ما قاله تعالى في أهل الكتاب من قبل:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾التوبة: ٣١. وذلك عندما اتبعوهم فيما أخطأوا فيه .. فأطاعوهم في تحليلهم لما حرم الله، وتحريمهم لما أحل الله .. وقدموا قولهم على ما أنزل الله تعالى في التوراة والإنجيل .. فكانت تلك عبادتهم واتخاذهم أرباباً من دون الله ﷻ !

كما جاء ذلك من حديث عدي بن حاتم، وكان قد قدم على النبي ﷺ وهو نصراني، فسمعه يقرأ هذه الآية:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال: فقلت له إنا لسنا نعبدهم. قال ﷺ:" أليس يُحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويُحلون ما حرم الله فتُحلونه "؟ قال: قلت: بلى، قال:" فتلك عبادتهم ".

وكذلك قال أبو البحتري: أما إنهم لم يُصلوا لهم، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله . بمعنى الركوع والسجود والتنسك . ما أطاعوهم، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية !

وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية: كيف كانت الربوبية في بني إسرائيل ؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم؛ فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم[١٢٤].

قال ابن تيمية في الفتاوى ٧/٧١-٧٢: أما إن كان المتبع عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القبلة، وأما إن قلد شخصاً دون دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية.

وقال: من علم هذا خطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول، فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لا سيما إن اتبع في ذلك هواه، ونصره باللسان واليد مع علمه أنه مخالف للرسول؛ فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه.

وقال ٢٨/١٩-٢٠: كون الأستاذ يريد أن يوافقه تلميذه على ما يريد، فيوالي من يواليه، ويُعادي من يُعاديه مطلقاً، وهذا حرام ليس لأحد أن يأمر به أحداً، ولا يجيب عليه أحد بل تجمعهم السنة وتفرقهم البدعة، يجمعهم فعل ما أمر الله به ورسوله وتفرق بينهم معصية الله ورسوله.

ومن حالف شخصاً على أن يوالي من والاه ويعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان.

وقال ٨/٢١٧: فإن فرعون وإبليس كل واحد منهما يطلب أن يعبد ويُطاع من دون الله، وهذا الذي في فرعون وإبليس غاية الظلم والجهل، وفي نفوس سائر الأنس والجن شعبة من هذا .. وذلك أن الإنسان يريد نفسه أن تطاع وتعلو بحسب الإمكان، والنفوس مشحونة بحب العلو والرئاسة بحسب إمكانها، فتجده يوالي من يوافقه على هواه، ويعادي من يخالفه في هواه، وإنما معبوده ما يهواه ويريده، قال تعالى:﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾الفرقان:٤٣.

والناس عنده كما هم عند ملوك الكفار من الترك وغيرهم " يال، ياغي " أي صديقي وعدوي، فمن وافقهم كان ولياً وإن كان كافراً، ومن لم يوافقه كان عدواً وإن كان من المتقين، وهذا حال فرعون.

والواحد من هؤلاء يريد أن يُطاع أمره بحسب إمكانه، لكنه لا يتمكن مما تمكن منه فرعون من دعوى الإلهية وجحود الصانع، وهؤلاء وإن أقروا بالصانع فإذا جاءهم من يدعوهم إلى عبادة الله المتضمنة ترك طاعتهم عادوه، كما عاد فرعون موسى عليه السلام، وكثير من الناس عنده عقل وإيمان لا يطلب هذا الحد، بل تطلب نفسه بما هو عنده، فإذا كان مطاعاً مسلماً طلب أن يُطاع في أغراضه وإن كان فيها ما هو ذنب

---

[١٢٤] عن الفتاوى لابن تيمية: ٦٧/٧.

ومعصية لله، ويكون من أطاعه أحب إليه وأعز عنده ممن أطاع الله وخالف هواه، وهذه شعبة من حال فرعون وسائر المكذبين للرسل.

وقال ٢٨/١٥-١٧: وليس للمعلمين أن يُحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقى بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الأخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾المائدة:٢.

وليس لأحدٍ منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريد، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يُعاديه، بل فعل هذا كان من جنس جنكزخان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً ولياً، ومن خالفهم عدواً باغي .. بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يُطيعوا الله ورسوله، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله.

وإذا وقع بين معلم ومعلم أو تلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة ومشاجرة لم يجز لأحد أن يُعين أحدهما حتى يعلم الحق، فلا يُعاونه بجهل ولا بهوى، بل ينظر في الأمر فإذا تبين له الحق أعان المحق منهما على المبطل، سواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره؛ وسواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره، فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله واتباع الحق ولقيام بالقسط.

قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾النساء:١٣٥.

ومن مال مع صاحبه . سواء كان الحق له أو عليه . فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله، والواجب على جميعهم أن يكونوا يداً واحدة مع الحق على المبطل، فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله، والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله، والمهان عندهم من أهانه الله ورسوله بحسب ما يُرضي الله ورسوله لا بحسب الأهواء.

وقال رحمه الله ٢٨/٢٢٧-٢٢٨: وليس لأحد أن يُعلق الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة، والصلاة واللعن بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك: مثل أسماء القبائل، والمدائن، والمذاهب، والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ.

فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان . انتهى كلامه رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

ـ تنبيه: ينبغي أن نفرق بين احترام العلماء وتوقيرهم، وإنصافهم وطاعتهم بالمعروف وبما أصابوا فيه، وبين التعصب لأسمائهم وذواتهم، وأقوالهم .. في الحق والباطل .. وعقد الموالاة والمعاداة فيهم وعليهم .. ولذواتهم!

فالأول واجب قد شرعه الله تعالى لعباده وأمرهم به، كما في الحديث:" ليس من أمتي من لم يُجِل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالِمنا "[١٢٥]. أي يعرف له حقه من توقير واحترام، وتكريم .. من غير إطراء ولا إسراف!

والثاني باطل مؤداه إلى الوقوع بالشرك .. قد نهى الشارع عنه وحذر منه أشد التحذير كما تقدم.

والذي حملنا على هذا التنبيه أن كثيراً من الناس يخلطون بين الأمرين .. بين الموالاة المشروعة .. والموالاة المذمومة .. فيقعون في الغلو والإسراف في الإطراء والموالاة .. ويظنون ذلك من النوع المشروع المباح .. لما للعلماء من فضل وحق على الأمة والعباد .. لذا لزم التنبيه والبيان!

٣- الولاء الوطني أو انعقاد الولاء والبراء على أساس الانتماء الوطني: لا نعني به حب الأوطان مسقط الرأس، والحنين إليها .. فهذا وارد لا خلاف عليه، قد دلت السنة عليه كما في قول النبي ﷺ عن مكة لما أخرجه المشركون منها:" إنك لأحب أرض الله إلي، ولولا أن قومك أخرجوني منك لما خرجت ".

هذا المعنى حق ومشروع وهو غير معني من حديثنا .. وإنما نعني الوجه الآخر للولاء الوطني السائد في الأمصار والمعمول به في جميع الأنظمة والدساتير المعاصرة، وصِفته: أن تُعقد الموالاة والمعاداة .. والحقوق والواجبات بين العباد على أساس انتمائهم للحدود الجغرافية للوطن الذي ينتسبون إليه؛ حيث لا فرق بين الكافر والمؤمن .. وبين أهل ملل الكفر والزندقة كلها وأهل ملة الإسلام في الموالاة والمعاداة .. والحقوق والواجبات .. ما دام الجميع ينتمون إلى وطن واحد، وبقعة جغرافية واحدة.

وهذه النظرة للوطنية المعمول بها . في جميع أمصار المسلمين . تغيب الولاء والبراء على أساس الانتماء للعقيدة أو الدين .. أو أساس التقوى وأيهم أحسن عملاً وخُلقاً .. وتحتم على المسلمين أن يوالوا أفجر وأكفر أهل الأرض .. ويمنحوه من الحقوق والواجبات .. كما يوالون أتقى وأصلح أهل الأرض .. ويمنحونه من الحقوق والواجبات .. ما دام هذا الكافر الفاجر وهذا التقي الصالح يجمعهما وطن واحد .. وحدود قطر واحد!

وهي تحتم كذلك أن من كان يعيش خارج هذه الحدود الجغرافية للقطر أو ينتمي إلى غيره من الأقطار .. ولو كان أتقى أهل الأرض وأصلحهم .. فإنه لا يُعطى أدنى الحقوق والموالاة التي يُعطاها أكفر وأفجر من يعيش ضمن تلك الحدود الجغرافية للقطر أو ينتمي إليه ..!

---

[١٢٥] أخرجه أحمد وغيره، صحيح الترغيب:٩٦.

فالوطن بهذا المفهوم الشائع .. والمعمول به في أكثر الأمصار .. وثن يُعبد من دون الله .. يُعقد فيه الولاء والبراء .. والحب والبغض .. والسلم والحرب .. وقد بلغ ببعض دعاة الوطنية مبلغاً أن ينسبوا الربوبية صراحة لهذه الأوطان .. ويصرفوا إليها صنوفاً عديدة من التنسك والعبادات !!

فانظر مثلاً ماذا يقول أحمد محرم المصري في وطنه مصر:

فإن يسألوا ما حُبَّ مصرَ فإنه
دمي وفؤادي والجوانح والصدرُ
أخافُ وأرجو، وهي جَهدُ مخافتي
ومرمى رجائي، لا خفاءُ ولا نُكرُ
هي العيشُ والموتُ المبغَّضُ والغنى
لأبنائها والفقرُ والأمن والذُعرُ
هي القدرُ الجاري هي السخطُ والرضى
هي الدينُ والدنيا هي الناس والدهرُ
بذلك آمنا، فيا من يلومنا
لنا في الهوى إيماننا ولك الكفرُ !!

ويقول شوقي كذلك:

ويا وطني لقيتُكَ بعد يأسٍ ... كأني لقيتُ بك الشبابا
وكلُّ مسافرٍ سيئوبُ يوماً ... إذا رُزِقَ السلامة والإيابا
ولو أني دُعيتُ لكنتَ ديني ... عليه أُقابلُ الحتمَ المُجابا
أدير إليك وجهي قبل البيتِ .. إذا فُهتُ الشهادة والمتابا

قلت: هذه القدسية والعبودية للأوطان . التي هي شرك أكبر . قد انعكست على أخلاق الناس، وعقائدهم، وأفكارهم، وسلوكياتهم .. حتى أننا نجد من المستساغ جداً أن يقول أحدهم عن نفسه: أجاهد وأقاتل في سبيل الوطن .. أموت في سبيل الوطن .. أتبرع بمالي وأبنائي في سبيل الوطن .. أضحي بكل شيء في سبيل الوطن .. الوطن غالي يستحق منا كل غالٍ ونفيس .. فكل شيء في سبيل الوطن يرخص ويهون .. ويقصد من وطنه تلك الحدود الجغرافية للإقليم التي ينتمي إليها .. فإذا كان وطنه هذا بسلام .. فعلى بقية أوطان وأمصار الإسلام الأخرى السلام .. فهي لا تعني له بشيء .. المهم عنده وطنه .. فوطنه حفظه الله وحماه .. وبقية أوطان المسلمين فلعنة الله عليها !!

وهذه السياسة .. بل قل هذه العقيدة الوثنية في عبادة الأوطان وتمجيدها .. نجدها مكرسة في جميع قوانين ودساتير الأنظمة العربية المعاصرة .. حيث ما من دستور إلا ويُقصر أصحابه على الدفاع عن

حدود إقليمهم ووطنهم فقط .. مهما أصاب أمصار المسلمين وأقاليمهم الأخرى من دمار أو هلاك أو اعتداء .. فهذا لا يعنيهم في شيء .. ودستورهم لا يلزمهم بالدفاع عنها .. كما هو حاصل في موقفهم من فلسطين .. والشيشان .. وأفغانستان .. وكشمير .. والفلبين .. وارتيريا .. والسودان .. وغيرها الكثير الكثير من أمصار المسلمين التي تواجه اعتداء صريحاً من قبل أعداء الإسلام!

فباسم الوطن والوطنية والولاء الوطني .. مزقوا البلاد إلى أوطان وأوطان .. ورسموا لكل وطن حدوداً وشعاراً .. وألفوا له نشيداً وطنياً يحفظونه الأبناء والأجيال ليتغنوا به دون سواه .. ففرقوا بذلك بين الأخوة المسلمين إلى دويلات ممسوخة ومتفرقة .. وولاءات متضاربة متناحرة متنافرة .. لا تزيد أمة الإسلام إلا ضعفاً واحتقاراً وازدراءً في أعين أعدائها .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/٥٤١: أن من لم يفرق بين اليهود والنصارى وسائر الكفرة وبين المسلمين إلا بالوطن، وجعل أحكامهم واحدة، فهو كافر ا– هـ.

ـ مفهوم الوطنية في الإسلام:

الوطن في نظر الإسلام هو الوطن الذي يخضع لسلطانه وأحكامه؛ فأيما وطن خضع لسلطان الإسلام وأحكامه وعقيدته . يوماً من الأيام . فهو وطن الإسلام ..!

هو الوطن الذي يتسع اتساع وانتشار العقيدة الإسلامية في ربوع الأرض والبلاد .. فحيثما يهيمن الإسلام وتكون الكلمة له .. فهو حينئذٍ وطن للإسلام والمسلمين.

وكل إنسان يخضع لسلطة وأحكام هذا الوطن الإسلامي . بما فيهم أهل الذمة . فهو المواطن الذي يُعطى حقوق وواجبات المواطنة .. على ضوء التفصيلات المبينة في الفقه الإسلامي ذات العلاقة بالموضوع.

فهذا الوطن بمواصفاته الآنفة الذكر هو وطن كل مسلم في العالم على اختلاف جنسياتهم وألوانهم ولغاتهم .. لهم فيه كامل الحقوق والواجبات!

وهو الوطن الذي يجب الدفاع عنه . بكل غالٍ ونفيس . وحراسته من أي خطر يتهدده مادياً كان أم معنوياً .. وسواء جاء هذا الخطر من جهة عدو داخلي .. كالحركات المرتدة الخارجة عن تعاليم وأحكام وعقيدة الإسلام .. أو كان عدواً خارجياً استهدف أمن وسلامة . ولو شبراً واحداً من . أرض الوطن الإسلامي الكبير!

فإن قيل: ما بال أمصار المسلمين في هذا الزمان التي يعلوها سلطان الكفر وأحكامه .. وما موقف المسلمين منها؟!

أقول: وإن كانت هذه الديار من حيث التقسيم الفقهي تُعتبر دار حرب لعلو أحكام الكفر عليها .. إلا أنها تُعتبر من جهة أخرى دار إسلام مغتصبة قد سطت عليها قوى الكفر والردة والطغيان .. يجب تحريرها وإعادتها إلى حظيرة الإسلام وسلطانه وأحكامه .. مهما كلف ذلك من تضحيات .. وهو هدف جميع

الحركات الجهادية المعاصرة .. وكل مسلم مخلص غيور على دين الله تعالى وحرماته .. وهو من أعظم الجهاد في سبيل الله تعالى .. وهو ما يُسمى في الفقه الإسلامي بجهاد دفع الصائل .. وحكمه واجب على جميع المسلمين كل بحسب استطاعته وموقعه وقربه من الدار المعتدى عليه.

هذه هي نظرة الإسلام للوطنية .. وهذا هو الوطن الإسلامي الذي تجب موالاته ونصرته والذود عنه.

فإن قيل: علام هذا الاهتمام الكبير في الذود عن حرمات أوطان المسلمين وأمصارهم ..؟!

أقول: لأن في ضياع حرمات الأوطان ضياع لجميع الحقوق والحرمات الأخرى؛ كالدين، والعرض، والنفس، والمال وغيرها .. ومن لوازم الحفاظ على هذه الحرمات . الذي جاء الدين لحمايتها والحفاظ عليها . الحفاظ على حرمات الأوطان وأمنها وسلامتها .. فالأوطان هي المحاضن الآمنة لكل ما يتواجد عليها من أشياء .. من هنا جاء الإسلام ليؤكد على ضرورة حماية أوطان المسلمين من أي اعتداء خارجي كان أم داخلي .. والذود عنها بالغالي والنفيس .. وكيفما كانت صورة الاعتداء .. وكان أهله وأصحابه!

ـ وطنيـة مـزيفـة فاحـذروهــا:

مما يؤخذ على الأنظمة الطاغية الحاكمة في زماننا . وفي أمصار المسلمين تحديداً . حصرهم لمعنى الوطنية وربطها بمصالح النظام الحاكم .. وتحديداً بالطاغوت الحاكم!

فعلى قدر موالاة المرء وإخلاصه للطاغوت الحاكم أو النظام الحاكم .. على قدر ما يكون إنساناً وطنياً .. ومحباً للوطن .. وعلى قدر ما يُعادي الطاغوت الحاكم أو النظام الذي يمثله .. على قدر ما يكون غير وطني .. وضد الوطن .. ومن أعداء الوطن !

ولربما بسبب ذلك يُحرم من جميع حقوقه المدنية والسياسية التي يُعطاها كل مواطن ينتمي لذلك القطر ..!

فهم لأدنى معارضة أو اعتراض على سياستهم أو نظامهم وطغيانهم .. يسحبون منك الجنسية .. ويحرمونك من أدنى حقوق المواطنة .. وكأن البلاد والعباد ملكاً لذواتهم وعوائلهم، وأحزابهم .. وسرعان ما يرمونك بأنك عدو للوطن .. وللمصالح الوطنية العليا ..!

فهذه وطنية مزيفة وكاذبة .. فلا تصدقوهم .. ولا يصدنكم ذلك عن الصدع بالحق في وجوه هؤلاء الطواغيت الجاثمين على صدور الأوطان .. المعتدين على الحقوق والحرمات!!

ـ شبهة ورد:

لعل قائلاً يقول: كيف نوفق بين كون المرء لا يجوز له أن يضحي ويقتل في سبيل الوطن، وبين كون الدفاع عن أرض الإسلام وأوطان المسلمين واجب شرعي وفرض على المسلمين القيام به .. وكذلك كون المرء الذي يقتل دون ماله وعرضه ومظلمته فهو شهيد ..؟!

أقول: لا تعارض بين الأمرين؛ فهناك فرق بين أن يقاتل المرء دفاعاً عن شيء في سبيل الله، وطاعة له ﷻ وبين أن يقاتل دفاعاً عن شيء في سبيل هذا الشيء وحمية لهذا الشيء، ولذات هذا الشيء من دون أن يرد الأمر إلى الله ﷻ، فالأول هو الذي شرعه الإسلام وأمر به، وعده من أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، أما الثاني فهو باطل ويُعد من الشرك؛ لأنه يتضمن صرف الأعمال لغير الله ﷻ.

وعليه فإن قول المرء: نموت في سبيل الأوطان .. نضحي في سبيل الأوطان ونحوه من الألفاظ والاطلاقات الشائعة فهو تعبير خاطئ .. والصواب أن يقول: نقاتل . في سبيل الله . دفاعاً عن الأوطان .. نموت . في سبيل الله . دفاعاً وذوداً عن الأوطان والحرمات .. فهذا تعبير صحيح ولا حرج فيه إن شاء الله.

وكذلك هناك فرق بين حب الأوطان والحنين إليها وهو مشروع، وبين أن يعقد الولاء والراء على أساس الانتماء لهذه الأوطان، وهذا لا يشرع لما يتضمن من إشراك الأوطان مع الله تعالى كما تقدم.

٤- الولاء القومي: وهو الولاء الذي ينعقد على أساس الانتماء القومي .. والروابط القومية التي تقوم على عناصر وأسس وهي:" الجنس، والتاريخ، واللغة، والمصالح المشتركة، والأرض "كالقومية العربية، والقومية الفرنسية، والقومية التركية .. ونحوها من القوميات المنتشرة في العالم.

وملاحظ أن هذا النوع من الولاء .كغيره من الروابط والولاءات التي تقدم الحديث عنها . يغيب عنصر الدين والعقيدة من جملة اعتباراته .. حيث لا فرق في نظر القومية والقوميين بين اليهودي، والمجوسي، والباطنيين الغلاة وغيرهم من ملل الكفر والشرك والإلحاد وبين المسلم الموحد ما دام كلاهما ينتميان إلى قومية واحدة ..!

بل الكافر المشرك الملحد من أبناء القومية له من الحقوق والموالاة ما ليس لأتقى أهل الأرض من المسلمين الذي لا ينتمي لنفس هذه القومية ..!

فمثلاً العربي المشرك الملحد . من أي ملة كان . الذي ينتمي للقومية العربية له من الموالاة والحقوق ما ليس للمسلم الموحد الباكستاني الذي لا ينتمي إلى القومية العربية ..؟!!

فالقومية . بهذا المفهوم الشائع والمعمول به . هي كفر؛ لأنها توجب ما حرم الله تعالى وتحرم ما أوجب .. وهي من جملة الروابط الجاهلية التي حذر الإسلام منها أشد التحذير، فقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾الحجرات:١٣. قال ابن عباس: لا أرى أحداً يعمل بهذه الآية:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ..﴾ فيقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك .. فليس أحد أكرم من أحدٍ إلا بتقوى الله.

وقال تعالى:﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾القلم:٣٥-٣٦.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله قد أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن "[١٢٦].

وقال ﷺ:" إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بهَنِ أبيه ولا تكنوا "[١٢٧].

وقال ﷺ:" من ادعى دعوى الجاهلية فإنه جثا جهنم . أي من جماعات جهنم . فقال رجل: يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ فقال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله التي سماكم: المسلمين، المؤمنين، عباد الله "[١٢٨].

وقال ﷺ:" ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية "[١٢٩]. وكل دعوى غير دعوى الإسلام فهي دعوى جاهلية .. وكل آصرة أو رابطة تقوم على غير آصرة العقيدة والدين .. آصرة التقوى والعمل الصالح .. فهي آصرة جاهلية نتنة يجب نبذها والترفع عنها.

وقال ﷺ:" إن أوليائي منكم المتقون، مَن كانوا وحيث كانوا "[١٣٠]. أي من أي جنسية أو قومية كانوا .. ومن أي مكانٍ كانوا .. وفي أي أرضٍ عاشوا .. فأحبهم لنبينا ﷺ وللمؤمنين هم المتقون الصالحون .. هذا هو ميزان الحق الذي لا يُحابي أحداً، وما سواه فهو الباطل.

وقال ﷺ:" لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربي، ولا أبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب "[١٣١].

نفي جاء بعده استثناء يُفيد قمة الحصر والقصر .. أي لا فضل لشيء على شيء .. ولا تفاضل بين الأشياء .. إلا .. بالتقوى!

---

[١٢٦] أخرجه أحمد، وغيره، صحيح الجامع:١٧٨٧.

[١٢٧] أخرجه أحمد، والترمذي، صحيح الجامع:٥٦٧. قال ابن الأثير في النهاية: التعزي الانتماء والانتساب إلى القوم. فأعضوا بهن أبيه: أي قولوا عض أير أبيك !

[١٢٨] صحيح الترغيب والترهيب:٥٥٣.

[١٢٩] صحيح سنن النسائي:١٧٥٦.

[١٣٠] أخرجه ابن أبي عاصم في " السنة "، وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

[١٣١] أخرجه أحمد في مسنده، وهو حديث صحيح.

فالحديث يلغي جميع صور التفضل القومية .. وغيرها من الصور والموازين الجاهلية السائدة بين بني البشر .. ليحصرها في صورة واحدة؛ ألا وهي صورة التقوى والعمل الصالح .. وأيكم أحسن عملاً.

٥- **انعقاد الولاء والبراء على أساس الإنتماء للقبيلة أو العشيرة**: حيث أن المعتبر في الولاء والبراء عند أبناء القبيلة أو العشيرة هو مجرد الانتماء إلى القبيلة ونظامها بغض النظر عن الدين والمعتقد؛ فكل من كان ينتمي إلى القبيلة أو العشيرة ويقر بنظامها وعاداتها يجب أن يعطى من الولاء والنصرة. وإن كان كافراً. مالا يعطاه ابن قبيلة أو عشيرة أخرى وإن كان من خيرة المسلمين المؤمنين.

وبذلك تكون القبيلة. ونظامها. في نظر أبنائها إلهاً مطاعاً من دون اللهﷻ؛ فالذي توجبه القبيلة تطاع فيه وإن كان في الشرع محرماً، والذي تنهى عنه القبيلة تطاع فيه وإن كان في الشرع واجباً، وهذا عين الشرك والكفر كما قال تعالى:﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾الأنعام: ١٢١ أي إن أطعتموهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله إنكم مثلهم مشركون.

فمن لوازم هذا النوع من الولاء .. موالاة ونصرة ابن القبيلة لابن قبيلته في الحق والباطل .. وظالماً ومظلوماً .. لمجرد كونه ينتمي إلى قبيلته!

ومن صور الولاء المعهود عند بعض القبائل والعشائر تماجدهم وتفاخرهم بالأجداد والآباء بغض النظر عن استقامتهم وسلامة دينهم، وهذا مما لا شك فيه أن الإسلام قد نهى عنه، وحذر منه أشد التحذير.

كما في الحديث، أن النبي ﷺ قال:" انتسب رجلان على عهد موسى، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، حتى عد تسعة فمن أنت لا أم لك؟! قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة "[١٣٢].

فمن كان منتسباً ومتفاخراً ولا بد، فلينتسب إلى الإسلام وإلى من كان منتسباً إلى الإسلام.

ورحم الله القائل:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إن افتخروا بقيس أو تميم

ـ تنبيه: القبيلة أو العشيرة التي تتعاهد فيما بينها على أن تنصر الحق أينما كان ولو كان في قبيلة أخرى، وأن تعادي الباطل وإن كان صادراً عن أبناء قبيلتها، وكذلك أن توالي المؤمن وإن كان من غير قبيلتها، وتعادي الكافر الظالم وإن كان من أبناء قبيلتها، وأن يكون الحكم الذي ترد إليه جميع النزاعات والخلافات هو الكتاب والسنة .. فهذه قبيلة محمود ولاؤها محمود نظامها، وأبناؤها يندرجون تحت قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ التوبة: ٧١.

---

[١٣٢] رواه أحمد، والنسائي، والطبراني، صحيح الجامع: ١٤٩٢.

٦- انعقاد الولاء والبراء على أساس الانتماء للسلطان أو الحاكم: وهو من أكثر أنواع الولاء شيوعاً في أمصار المسلمين .. وصورته أن يعقد المرء الولاء والطاعة للحاكم لذاته وفي معصية الله ﷻ، فينفذ أوامره بغض النظر عن موافقتها أو معارضتها لشرع الله تعالى .. فيكفي لكي ينفذ الأوامر كونها صادرة عنه .. مهما كانت مضاهية لشرع الله تعالى!

وهذه الطاعة . لا شك . أنها طاعة شركية باطلة، كما قال تعالى:﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام:١٢١.

وقال ﷺ:" من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه "[١٣٣].

وقال:" طاعة الإمام حق على المرء المسلم، ما لم يأمر بمعصية الله ﷻ ، فإذا أمر بمعصية الله فلا طاعة له "[١٣٤].

وقال ﷺ:" سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة، ويعملون بالبدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها" قال عبد الله بن مسعود: يا رسول الله إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال:" تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله "[١٣٥].

ومن الصور .. موالاته في الحق والباطل؛ فيوالونه وينصرونه مبطلاً ظالماً كما ينصرونه محقاً عادلاً، فهم يوالونه لذاته، وليس لدينه، أو للحق الذي هو عليه.. وإنما لكونه فلان .. والرمز فلان!

ومنها موالاة من يواليه .. وإن كان كافراً مشركاً، ومعاداة من يعاديه وإن كان مسلماً عدلاً يستحق الموالاة الشرعية .. فالولاء والبراء يعقدانه في ذات الحاكم وله .. وهؤلاء فيهم شبه جند التتار، كما يقول عنهم ابن تيميه: من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وإن كان كافراً عدواً لله ورسوله، وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها استحلوا قتاله وإن كان من خيار المسلمين.

وكذلك عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين وأموالهم إلا أن ينهاهم عنها سلطانهم، أي لا يلتزمون تركها، وإذا نهاهم عنها أو عن غيرها أطاعوه لكونه سلطاناً لا بمجرد الدين[١٣٦] ا– هـ.

ومن يتأمل حال الجيوش العربية المعاصرة .. يجد أنها لا يخرج وصفها عن وصف جند وجيش التتار..!

وفي هؤلاء وأمثالهم يصدق قول النبي ﷺ:" سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله "[١٣٧].

---

[١٣٣] سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢٣٢٤.

[١٣٤] أخرجه أحمد، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة:٢/١٣٩.

[١٣٥] السلسلة الصحيحة: ٧٥٢.

[١٣٦] مجموع الفتاوى:٢٨/ ٥٠٤.

[١٣٧] رواه الطبراني، والحاكم، صحيح الجامع: ٣٦٦٦.

وذلك لأنهم وسيلة الطاغوت وأداته في ظلم العباد وإرهابهم وإذلالهم، وأطرهم على عبودية الطاغوت .. ومن يتأمل واقع الأمة المعاصر يجد أن "بسطار" الجندي العربي، وراء كل ذل وقهر أصاب ويصيب الأمة .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٧- انعقاد الولاء والبراء على أساس الانتماء للإنسانية: هذا النوع من الولاء أوسع دائرة من غيره، وهو أشمل لشرائح الناس على اختلاف جنسياتهم وأوطانهم وأديانهم .. فهو ولاء من مقتضاه أن لا يفرق المرء بين الكافر والمؤمن، ولا بين الفاجر الفاسق وبين المسلم التقي، حيث أن الجميع في نظره يستحقون الموالاة لانتسابهم إلى الأصل البشري الإنساني .. وبغض النظر عن الدين والمعتقد أو أي اعتبار آخر!

وهذا "ولاء" معلوم من الدين بالضرورة بطلانه وفساده، إذ لا فرق عند أدعيائه بين سيد الخلق محمد ﷺ وبين رأس الكفر أبي جهل؛ حيث كلاهما ينتسبان إلى الأصل البشري الإنساني، وبالتالي فكلاهما يستحقان نفس القدر من الحب والموالاة .. والنصرة .. وهذا قول لا يقول به إلا كل كافر مارق لا يبالي على أي دين يموت.

ومن مزالق هذا "الولاء" أن أدعياءه يشركون الإنسانية مع الله تعالى في كل شيء يقومون به؛ فإذا أحدهم أراد أن يقوم بأي عمل من الأعمال الخيرية، فهو يقوم بها في سبيل الإنسانية؛ فلو ضحى بشيء من ماله فهو يضحي في سبيل الإنسانية .. ولو قاتل فهو يقاتل في سبيل الإنسانية .. ولو قُتل فهو يُقتل في سبيل الإنسانية .. وهكذا كل شيء يقوم به فهو في سبيل الإنسانية المزعومة .. فالإنسانية . عند الإنسانيين . إله يعبد من دون الله تعالى .. يعقدون فيه الولاء والبراء!!

٨- انعقاد الولاء والبراء على أساس المنفعة والمصالح المادية أو الذاتية:

رغم أن هذا النوع من "الولاء والبراء" ليس له دعاة ومنظرين، إلا أنه في واقع الحال الملموس والمشاهَد نجد كثيراً من الناس . بل والدول . يعقدون ولاءهم وبراءهم على أساسه، فإذا تحققت المنفعة والمصلحة المادية تحققت الموالاة والمداهنة وحصلت الموافقة، وإذا انعدمت المنفعة والمصلحة المادية انعدمت الموالاة، وذلك بغض النظر عن الطرف الموالى هل يستحق الموالاة الشرعية أم أنه لا يستحقها!

فهو تارة يدور مع الدرهم والدينا . وأينما يجده . حيثما يدور .. فتراه لا يُبالي أن يُقتل في سبيل الطاغوت .. مقابل راتب زهيد من المال يُرمى إليه!

وتارة يدور مع شهواته ونزواته .. فحيثما يجدها تجده .. وتراه يُعطي الموالاة والطاعة .. وإلى درجة التذلل!

فلا يعرف منطقاً إلا منطق أنا .. ومصلحتي .. وشهواتي .. ونقودي وإن أدى ذلك إلى انتهاك مصالح العباد والبلاد ..!

وهؤلاء فيهم شبهة بالمنافقين كما قال تعالى عنهم:﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾النساء:١٤١. فالمهم بالنسبة لهم أن يحصلوا على الغنائم والمال، وحتى لا يفوتهم ذلك، فهم مذبذبين بين الطرفين لا إلى المؤمنين جملة، ولا إلى الكفار جملة، ولكن تارة هنا وتارة هناك بحسب ما تقتضيه المصلحة المادية الدنيوية، كما قال تعالى عنهم: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ النساء:١٤٣.

وهذا كما يحصل على مستوى الأفراد .. فإنه يحصل كذلك على مستوى الدول والجماعات ..!

فكم هي الدول والجماعات التي نراها تتخلى عن الثوابت العامة .. والمبادئ الكلية .. والمواقف العقدية الأساسية .. مقابل مصالح موهومة .. ومقابل حفنة من الدولارات تُرمى إليهم من قبل قوى الكفر والطغيان العالميين .. أو مقابل وعود تتضمن تثبيت الحاكم على عرشه وملكه .. وما أكثر الأمثلة على ذلك لو أردنا التوسع والاستدلال؟!!

وفي هذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في موافقة المشركين: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال، أو خوف مما يحدث في المال، فإنه في هذه الحال يكون مرتداً ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن، وهو ممن قال لهم فيهم:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [١٣٨] ا– هـ.

ـ براء الطائفة المنصورة من كل ولاء وبراء ليس في الله ولله:

كما تقدم فإن الطائفة الظاهرة المنصورة بريئة من كل ولاء وبراء لا يُعقد في الله ولله، وهذه صفة لازمة لهم، وهي من أخص خصائصهم وصفاتهم التي يعرفون بها، كما قال تعالى:﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة:٢٢ . أما الذين يوادون من حاد الله ورسوله لكونه ينتمي إلى قومهم أو عشيرتهم أو حزبهم وغير ذلك من الولاءات الجاهلية التي تُعقد على أساس الانتماء إلى الطين والماء .. فهم ليسوا بمؤمنين فضلاً عن أن يكونوا من الطائفة المنصورة الظاهرة.

---

[١٣٨] مجموعة التوحيد:٢٩٦.

وكذلك قوله تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾الممتحنة: ٤. وغيرها كثير من الآيات والنصوص التي تدل على هذه الصفة اللازمة للطائفة الناجية المنصورة.

ـ تنبيه: اعلم أنه لا شيء من الإسلام يغيظ ملل الكفر والنفاق ..ويقلقهم ويحملهم على النقمة .. كعقيدة الولاء والبراء التي جاء بها الإسلام .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله ..!

لا شيء يُخيفهم من دين المسلمين .. كما تُخيفهم عقيدة الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله !

فأيما إسلام يتخلى عن عقيدة الولاء والبراء .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله .. فهو إسلام مرضي عنه من قبل ملل الكفر .. وهو إسلام متحضر .. متحرر .. يمكن التعايش معه وبكل سرور وسهولة!

وأيما طائفة أو جماعة .. تتخلى عن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. والجهاد في سبيل الله .. وتستثني من خطابها ومنهاجها عقيدَتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله .. فهي جماعة تحظى بالقرب والقبول، وبكل العطايا والامتيازات .. والحريات ..!

أظهر من شعائر الإسلام ما تشاء .. فلا حرج عليك في شيء من ذلك .. ولك كامل الحق والحرية .. لكن إياك ثم إياك أن تتكلم أو تحيي في الأمة عقيدتي الولاء والبراء في الإسلام .. والجهاد في سبيل الله!

لك كامل الحق في أن تصلي على سفنهم الحربية .. وأن تلبس العمامة الإسلامية .. وأن تُرخي لحيتك لو شئت .. وأن تصوم رمضان .. وهم على كامل الاستعداد أن يُحضروا لك الطعام المعد على الطريقة الإسلامية .. لكن بشرط أن تعطيهم الولاء .. وتتخلى عن عقيدة الجهاد في سبيل الله ..!!

لك كامل الحق والحرية .. أن تصلي على سفنهم الحربية .. شريطة أن لا تقول لهم .. لا .. عندما تطلق سفنهم الصواريخ العابرة للقارات لتقتل شيوخ ونساء وأطفال المسلمين .. وتهدم على الآمنين منهم منازلهم!!

يقدمون لك الطعام المذبوح على الطريقة الإسلامية .. والمغلف بعبارة ذبح حلال .. شريطة أن لا تقول لهم .. لا .. عندما يذبحون أخاك المسلم!!

الإسلام المتحضر .. المتفتح .. المعتدل .. الأمريكي .. يعنون به: الإسلام الذي يتخلى عن عقيدتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله!!

يسمعون منك كل شيء إلا حديث الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله لا يمكن أن يسمعوه ..!

يكفي لكي تُرمى بالتشدد .. والتعصب .. والإرهاب .. والتطرف . إلى آخر مفردات الناقمين على الإسلام . أن تُظهر أو تتكلم عن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله !!

لو تأملت حملات الكيد والتحريف .. والتشويه التي تعرض لها الإسلام عبر تاريخه كله .. من قبل ملل الكفر والنفاق .. لن تجد شيئاً من الدين تعرض لتلك الحملات البغيضة كما تعرضت له عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله ..؟!!

عندما يتكلمون عن ضرورة تعديل ومراقبة مناهج الدراسة التي تُدرس لأبناء المسلمين .. يستهدفون بذلك تحديداً عقيدتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله .. وكل ما له صلة بهاتين العقيدتين .. لتبقى الأمة بلا عقيدة .. ولا ولاء ولا براء !

هذه النقمة المعلنة على الإرهاب .. زعموا! .. ما هي في حقيقتها إلا نقمة على عقيدة الولاء والبراء .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله!

لذلك تراهم يُصرحون بكل وقاحة .. وعلى لسان كبيرهم .. إما أن تكونوا معنا أو تكونوا علينا .. ولا يوجد خيار وسط .. وإذا لم تكن معنا .. فأنت إرهابي .. وأنت المستهدف من حربنا هذه التي نخوضها ضد الإرهاب ..!

لماذا كل ذلك .. لماذا ينقمون من ديننا وعقيدتنا .. عقيدَتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله .. وكأنه ليس من حقنا أن نوالي من نشاء .. ونعادي من نشاء وفق ما تمليه علينا عقيدتنا السمحاء ..؟!!

لماذا من حق الجميع أن يُجاهدوا ويُقاتلوا .. ويُجيشوا الجيوش والعساكر .. انتصاراً لأهوائهم وأطماعهم ومخططاتهم .. وليس من حقنا كمسلمين الجهاد والقتال من أجل حماية حقوقنا وثوابتنا وحرماتنا .. والكليات العامة التي جاء من أجلها ديننا الحنيف ..؟!

لماذا قتال غيرنا . وفي الباطل .. وفي سبيل الشيطان . يُعد حقاً وتحضراً .. وواجباً .. بينما نحن مجرد التفكير بالجهاد للذود عن الحقوق والحرمات المغتصبة يُعد جريمة نكراء .. وإرهاباً يجب أن يُطارد ويُحارب ..؟!

لماذا كل ذلك ..؟!

أقول: لتضعف المقاومة .. ويموت في الأمة جهاز المناعة .. فيسهل عليهم غزو البلاد والعباد .. وقبل ذلك غزو العقول والمبادئ والأفكار ..!

ليسهل عليهم التعايش بأمانٍ مع الحق المعتدى عليه .. من دون منغصات أو أدنى اعتراضات ..!

حتى لا يُقال لهم .. لا .. وهم يُمارسون عملية الهدم والتخريب في حق البلاد والعباد ..!!

حتى لا يُقال لهم .. لا .. وهم يذبحون في الأمة عقيدتها، وأخلاقها، وقيمها .. ويهدمون آخر حصنٍ من حصونها!

حتى لا يُقال لهم .. لا .. وهم يُمارسون عملية النهب والسلب لخيرات الأمة .. لتصب في بنوكهم وجيوبهم!

ولأن تغييب عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله .. عن ساحة الشعور والاعتقاد .. وواقع الحياة .. يضمن لهم العيش مع أموات لا حراك لهم إلا فيما يُشبع غرائزهم وشهواتهم .. كالأنعام بل أضل!

وهل فكرة عملية السلام مع لصوص الصهاينة اليهود .. المعتدين المحتلين للبلاد والعباد .. وفكرة التعايش معهم بأمان .. والرضى بالفُتات اليسير مما اغتُصب .. نالت شيئاً من القبول عند الأمة .. إلا بعد تغييب عقيدَتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله .. من ساحة الشعور والوجدان .. بل والاعتقاد؟!

تأمّل التاريخ كله .. تجد ما من خرق أصاب ويُصيب الأمة .. إلا وتجده من جهة التخلي عن عقيدة الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله ..!

صدق رسول الله ﷺ إذ يقول:" إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم "!

فكيف إذا ضموا إلى ترك الجهاد .. ترك عقيدة الولاء والبراء .. فإنه يكون حينئذٍ ذل مركب يعلو بعضه بعضا .. بل قل هو الكفر والمروق من الدين والعياذ بالله!

وإلى هؤلاء الواهمين .. الذين يريدون أن يعيشوا الإسلام بعيداً عن عقيدة الولاء والبراء كما جاء بها الإسلام .. ومن دون أن يعيشوا عقيدة الجهاد في سبيل الله .. ويتحملوا شيئاً من تبعاته .. ثم يحسبون أنفسهم على شيء أو أنهم يُحسنون صنعاً .. نقول لهم وبكل وضوح مشفقين ومحذرين وناصحين: أنتم لستم على شيء .. وإن تسميتم زوراً بالمسلمين .. وبأسماء إسلامية .. وانتسبتم لبلاد المسلمين!

لا ولاء ولا براء .. ولا جهاد في سبيل الله .. فبمَ تدخلون الجنة ..؟!

راجعوا دينكم .. واقرأوا كتاب الله من جديد .. واسألوا الله تعالى الهداية والتوفيق !

لذلك نجد ملل الكفر والزندقة والنفاق قد حرصوا . ولا يزالون . جاهدين على استبدال عقيدة الولاء والبراء في الإسلام بولاءات جاهلية نتنة ما انزل الله بها من سلطان، لا تزيد المسلمين إلا فرقة وضعفاً ووهناً على وهن . قد تقدم ذكر بعضها . لتصرفهم عن دينهم .. وعن عقيدة الولاء والبراء كما جاء بها الإسلام!

وقد نجحوا . وللأسف . إلى حدٍّ كبير في تحقيق مهمتهم هذه .. وهم لا يتورعون . في سبيل ذلك . أن يسلكوا كل مسلك وطريق ممكن من أجل تحقيق هدفهم هذا .. ومن لم يأت معهم بالترغيب والإغواء .. والشراء .. جاءوا به عن طريق الترهيب والتهديد .. ولا ينجو إلا من نجاه الله وثبته[١٣٩]!

---

[١٣٩] علماً أن ملل الكفر كلها وبخاصة منهم اليهود والنصارى، يعقدون الولاء والبراء على أساس ديني طائفي وإن تظاهروا بخلاف ذلك، فإن الحقد الصليبي اليهودي يظهر بوضوح في كل موقف يتخذه الغرب الصليبي تجاه أي قضية تخص المسلمين في العالم، ومن يتأمل ما جرى ويجرى على الساحة من أحداث يدرك حقيقة ذلك .. وما جرى من قبل في البوسنة والهرسك، ويجري اليوم في فلسطين، وفي أفغانستان، والشيشان، وكشمير .. وغيرها من البلدان التي يضطهد فيها المسلمون .. وما أكثرها لو أردنا الإحصاء والاستقصاء .. كل ذلك شاهد صادق يدل على مدى النزعة الدينية الحاقدة عند

ولله در الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . إذ يقول:" فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسه ورأسه، شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم، وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم أو قال: ما علي منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم، فالله الله، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً، اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين "[١٤٠].

ـ كلمات مختارة لسيد قطب ـ رحمه الله ـ في الولاء والبراء:

قبل أن نختم الحديث عن صفة الولاء والبراء كما تتحلى بها الطائفة المنصورة .. وننتقل إلى الصفة التي تليها .. آثرنا أن نخط هذه الكلمات المختارة من الظلال لسيد قطب رحمه الله .. حيث يقول:" إنه لا يجتمع في قلبٍ واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه الذين يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون ويُعرضون .. ومن ثم جاء هذا التحذير الشديد، وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لا يرتضي أن يحكم كتاب الله في الحياة، سواء كانت الموالاة بمودة القلب، أو بنصره، أو باستنصاره ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾آل عمران:٢٨.

هكذا، ليس من الله في شيء لا في صلة ولا نسبة ولا دين ولا عقيدة، ولا رابطة ولا ولاية، فهو بعيد عن الله، منقطع الصلة تماماً ..!

وأول خطوة في الطريق هي تميز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن الجاهلية تصوراً ومنهجاً وعملاً، الانعزال الذي لا يسمح بالالتقاء في منتصف الطريق، والانفصال الذي يستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الجاهلية من جاهليتهم بكليتهم إلى الإسلام.

لا ترقيع ولا أنصاف حلول، ولا التقاء في منتصف الطريق، مهما تزيت الجاهلية بزي الإسلام أو ادعت هذا العنوان.

وتميز هذه الصورة في شعور الداعية هو حجر الأساس، شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء، لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريق، لا يملك أن يُسايرهم خطوة واحدة في طريقهم، ووظيفته أن يسيرهم في

اليهود والنصارى .. والتي ينطلقون من خلالها في محاربتهم للإسلام والمسلمين .. وهم كما قال تعالىفيهم:﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾. وقال تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقّ﴾. وقال تعالى:﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾. فالحذر الحذر يا عبد الله .. يا مسلم .. أن تؤتى من جهة دينك وأنت تعلم أو لا تعلم .. فتهلك!

[١٤٠] مجموعة التوحيد ص ١١١.

طريقه هو بلا مداهنة ولا نزول عن قليل من دينه أو كثير، وإلا فهي البراءة الكاملة والمفاصلة التامة والحسم الصريح ..﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ .

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب، ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم .. وسذاجة أية سذاجة وغفلة أية غفلة أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين أمام الكفار والملحدين إذا كانت المعركة مع المسلمين ..!

فليس هناك جبهة تديّن يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد، هناك دين هو الإسلام، وهناك لا دين؛ هو غير الإسلام، ثم يكون هذا اللادين عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفة أو عقيدة أصلها وثني باقية على وثنيتها، أو إلحاد ينكر الأديان، تختلف فيما بينها كلها .. ولكنها تختلف كلها مع الإسلام، ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء ..!

إن الإسلام يكلف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعاً على أساس العقيدة؛ فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة، ومن ثم لا يمكن أن يقوم الولاء وهو التناصر بين المسلم وغير المسلم؛ إذ أنهما لا يمكن أن يتناصرا في مجال العقيدة، ولا حتى أمام الإلحاد مثلاً . كما يتصور بعض السذج منا وبعض من لا يقرأون القرآن . وكيف يتناصران وليس بينهما أساس مشترك يتناصران عليه ..؟!

فالذين يحملون راية هذه العقيدة لا يكونون مؤمنين بها أصلاً، ولا يكونون في ذواتهم شيئاً ولا يحققون في واقع الأرض أمراً ما لم تتم في نفوسهم المفاصلة الكاملة بينهم وبين سائر المعسكرات التي لا ترفع رايتهم ..!

لقد نزل القرآن ليبث الوعد اللازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته ولينشئ تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة ولا يقف تحت رايتها، المفاصلة التي لا تنهي السماحة الخلقية، فهذه صفة المسلم دائماً، ولكنها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا إلى الله ورسوله والذين آمنوا .. الوعي والمفاصلة اللذان لا بد منهما للمسلم في كل أرض وفي كل جيل.

فهذا مفرق الطريق وما يمكن أن يتميع حس المسلم في المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من ينهج غير منهج الإسلام، وبينه وبين كل من لا يرفع راية الإسلام، ثم يكون في وسعه بعد ذلك أن يعمل عملاً ذا قيمة في الحركة الإسلامية الضخمة التي تستهدف أول ما تستهدف إقامة نظام واقعي في الأرض فريد، يختلف عن كل الأنظمة الأخرى ..

وتنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب الله وحزب الشيطان. وإلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل. فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل، وهما صنفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان، ولا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس ولا عصبية ولا قومية إنما هي العقيدة والعقيدة وحدها ..!

وينهى الله ﷻ المؤمن أن يجعل ناساً هم دونه في الحقيقة والمنهج موضع ثقة واستشارة، ومرة بعد مرة تصفعنا التجارب المرة ولكننا لا نفيق، ومرة بعد مرة نكشف عن المكيدة والمؤامرة تلبس أزياء مختلفة ولكننا لا نعتبر، ومرة بعد مرة تنفلت ألسنتهم فتنم عن أحقادهم .. ومع ذلك نعود فنفتح لهم صدورنا، ونتخذ منهم رفقاء في الحياة والطريق .. وتبلغ بنا المجاملة أو تبلغ بنا الهزيمة الروحية أن نجاملهم في عقيدتنا، فنتحاشى ذكرها، وفي منهج حياتنا فلا نقيمه على أساس الإسلام، وفي تزوير تاريخنا وطمس معالمه كي نتقي فيه ذكر أي صدام كان بين أسلافنا وهؤلاء الأعداء المتربصين ..!

ومن ثم يحل علينا جزاء المخالفين عن أمر الله ومن هنا نُذل ونضعف ونستخذى، ومن هنا نلقى العنت الذي يوده أعداؤنا لنا، وهاهو ذا كتاب الله يعلمنا كما علم الجماعة المسلمة الأولى، كي ننفي كيدهم وندفع أذاهم، وننجو من الشر الذي تكنه صدورهم﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾آل عمران:١١٨.

إنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب:﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ .. إلا بأن تنفصل هذه العصبة عقيدياً وشعورياً، ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله بقيام دار إسلام تعتصم بها ..!

فإذا لم تفاصل هذه المفاصلة ولم تتميز هذا التميز، حق عليها وعيد الله هذا : وهو أن تظل شيعة من الشيع في المجتمع، شيعة تتلبس بغيرها من الشيع، ولا تتبين نفسها، ولا يتبينها الناس ممن حولها، وعندئذٍ يصيبها ذلك العذاب المقيم المديد دون أن يدركها فتح الله الموعود.

إن موقف التميز والمفاصلة قد يكلف العصبة المسلمة تضحيات ومشقات، غير أن هذه التضحيات والمشقات لن تكون أشد ولا أكبر من الآلام والعذاب الذي يصيبها نتيجة التباس موقفها وعدم تميزها، ونتيجة اندفاعها وتميعها في قومها والمجتمع الجاهلي من حولها ..!

ليس للّون والجنس، واللغة والوطن، وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويُعرف به فضل الناس:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ والكريم حقاً هو الكريم عند الله، وهو يزنكم عن علمٍ وعن خبرة بالقيم والموازين:﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد، كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله، وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ

البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت، وكلها من الجاهلية وإليها، تتزيا شتى الأزياء، وتتسمى بشتى الأسماء، وكلها جاهلية عارية عن الإسلام " ا– هـ.

٤- الصفة الرابعة: الشمولية.

نعني بهذه الصفة أن الطائفة المنصورة من صفاتهم أنهم يأخذون الإسلام أخذاً شمولياً من دون تفريط في جانب من جوانبه، أو اهتمام بجانب دون آخر، مع مراعاتهم لفقه الأولويات والموازنات، وما ينبغي أن يُقدم أو يؤخر بحسب ما تقتضيه المصالح الشرعية، وتقديم الأهم على المهم عند تزاحم المهام في وقت واحد، من دون استهانة بالمهم أو تفريط به.

فهم ليسوا جماعة يقوم منهاجهم، ويتركز نشاطهم على عنصر الدعوة والتبليغ، أو الوعظ والإرشاد فقط ..!

وهم ليسوا جماعة يقوم منهاجهم وتتركز اهتماماتهم على الجهاد وحسب ..!

وهم كذلك ليسوا جماعة يقوم منهاجهم على طلب العلم والفقه من دون الاكتراث ببقية جوانب الدين .. أو الاكتراث بالجوانب العملية لهذا الدين!

وهم كذلك ليسوا جماعة يقوم منهاجهم على الإكثار من العبادات والذكر، والاهتمام بتهذيب النفوس وتربيتها وحسب ..!

وهم كذلك ليسوا جماعة يقوم جل منهاجهم ونشاطهم على الاهتمام بالواقع وشؤون السياسة، منشغلين بذلك عن بقية جوانب الدين الأخرى ..!

فهم لا يُعرفون براية أو علامة دون أخرى؛ وإنما هم جماعة تجتمع فيهم جميع عناصر الخير ومعانيه، من دون تجزئة للدين أو فصل بعضه عن بعض .. ولو نظرت إليهم ترى فيهم الإسلام بشموليته .. وتمامه وكماله.

فهم من جهة دعاة إلى الحق، يقومون بمهمة الدعوة والتبليغ على أحسن وجه، وعلى أساس من العلم والفقه، والحكمة والموعظة الحسنة ..

ومن جهة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويجاهدون في سبيل الله لا يخشون في الله لومة لائم..

ومن جهة تراهم حريصين على طلب العلم والفقه؛ فهم إما علماء أو طلاب علم .. وهم مع ذلك يهتمون بواقع وشؤون أمتهم، وما يحاك ضدها من مؤامرات تستهدف الإسلام والمسلمين .. فيعرفون سبيل المجرمين ومذاهبهم الهدامة .. أكثر من المجرمين ذاتهم!

كما قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ الأنعام:٥٥. فمن غايات تفصيل الآيات أن يستبين سبيل المجرمين .. ليتم اعتزاله واجتنابه والحذر منه.

وهم بعد ذلك لا يفوتهم أن يهتموا بالجانب التربوي لأنفسهم ولغيرهم، بالوسائل المشروعة الثابتة في الكتاب والسنة؛ فهم رهبان في الليل فرسان في النهار ..!

وهذه خصال جميعها تصب في منهاج عملي واحد متكامل متماسك، من دون تفريق أو فصل فيما بينها، أو تقليل لشيء من أهميتها .. فتراهم يؤدون كل عبادة في وقتها ومكانها المناسبين.

قال تعالى:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ جميع ما آتاكم به من عند ربه، وليس بعضه دون بعض، ﴿ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾الحشر: ٧. أي جميع ما نهاكم عنه.

ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أخلاق النبي ﷺ، قالت:" كان خُلُقه القرآن " القرآن كله .. بجميع تعاليمه وأوامره ونواهيه .. ولم تقل كان خلقه سورة البقرة أو التوبة أو الأنفال من القرآن..!

والمؤمنون لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، كما قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ الأحزاب: ٢١. فهم يتأسون بالنبي ﷺ في جميع جوانب حياتهم التعبدية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والجهادية .. وتراهم في جميع أقوالهم وأفعالهم وتقلباتهم وأحوالهم يتوخون سنة النبي ﷺ . قدر المستطاع . ليقتدوا بها ويلتزموها .. فهم أهل اتباع لا ابتداع.

وهؤلاء هم الذين أثنى الله تعالى عليهم بقوله:﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾الأعراف: ١٥٧.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾النساء: ٦٩.

وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾آل عمران: ٣١.

أما الذين يبعّضون الدين؛ فيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، أو يلتزمون ببعض الدين ويتركون بعضه الآخر . كالعلمانيين الذين يفصلون الدين عن الدولة وشؤون الحياة . أولئك يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾البقرة: ٨٥ .

وقوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾النساء: ١٥١.

وقوله تعالى:﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾المائدة: ١٤.

وهذا مثل ضرب للمسلمين؛ أي أنكم إذا فعلتم فعل النصارى، فنسيتم حظاً من الدين والتوحيد، وعملتم ببعض الدين وتركتم بعضه الآخر، فإنه سيصيبكم ما أصابهم من التفرق والتنازع والعداوة والبغضاء ..!

وما أصاب المسلمين في هذا الزمان من خزي وفرقة وهوان ما هو إلا بسبب أنهم نسوا حظاً من الدين والتوحيد، فعملوا ببعض الدين وأهملوا أو تركوا بعضه الآخر ..!

وغالباً ما يعود انشغال المسلمين [١٤١] ببعض الدين دون البعض الآخر، إلى سببين، هما:

أولاً: وجود المدارس الفقهية المعاصرة التي تقوم ـ بقصد أو غير قصد ـ على تكريس مفهوم فصل الدين بعضه عن بعض، والاهتمام ببعضه دون بعض، مما يعكس ذلك سلباً على فكر وسلوك وحياة المسلمين، وبخاصة منهم طلبة العلم!

فمثلاً هناك مدرسة تهتم بجانب الدعوة والتبليغ، وتبالغ بأهمية هذا الجانب، مما يحدوا بها إلى إهمال بقية جوانب الدين .. وإذا ما ذكِّر أتباع هذه المدرسة بهذه الجوانب المهملة، سرعان ما يقللون لك من أهميتها وكأنها ليست من الدين!

وهناك مدرسة تهتم بجانب" التربية الروحية " وتبالغ في أهمية هذا الجانب ـ وفي كثير من الأحيان بصورة خاطئة ـ على حساب بقية جوانب الدين، مما يجعل أتباع هذه المدرسة يظنون أن الدين كله يدور حول هذا الجانب، فيقعون في التفريط والتقصير ـ عن عمد أو غير عمد ـ ببقية جوانب الدين الأخرى ..!

وهناك مدرسة تهتم بالدعوة إلى العلم والانشغال به ـ تحقيقاً وتخريجاً وحفظاً ـ وتبالغ في ذلك، حتى تجدها تقع في الترف العلمي النظري المجرد عن معايشة واقع الأمة ومشاكلها وآلامها، مما يجعل أتباع هذه المدرسة يقعون في المحظور المشار إليه؛ وهو الاهتمام ببعض الدين دون بعض.

وهناك مدرسة تقوم على مبدأ " الجهاد والقتال " والاهتمام به، وتبالغ في ذلك مما يجعلها تقع في المحظور والتفريط في بقية جوانب الدين الأخرى التي تعتبر بحق من لوازم الجهاد وشروط نجاحه وقبوله ..!

وهناك من يدنون حول العقيدة وأهميتها، وإذا نظرت ماذا يقصد من دندنته ودعوته، لوجدته يقصد توحيداً دون توحيد؛ فهو إما يقصد توحيد الربوبية،متجاهلاً توحيد الله في ألوهيته وأسمائه وصفاته، وإما يقصد توحيد الربوبية والألوهية معاً متجاهلاً توحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته مقللاً من أهمية هذا النوع من التوحيد، وإما أنه منشغل ـ بحكم التربية وكثافة المناهج التي يعتكف على دراستها ـ بتوحيد الأسماء والصفات والرد على المعارضين والمخالفين من القدامى والمعاصرين، عن توحيد العبودية والألوهية مع ما يقتضي هذا النوع من اهتمام وتركيز ..!

---

[١٤١] ليس المراد بالمسلمين هنا العلمانيين الذين يفصلون الدين عن الدولة والحياة، فهؤلاء إذ يكفرون ببعض الكتاب يكفرون كفراً عقدياً وعن جحود، وكبر وعناد .. ومثل هؤلاء لا شك في كفرهم، وخروجهم من الدين.

وهو لو أراد أن يتكلم عن توحيد الألوهية والعبودية، تراه يقصد جانباً دون جوانب؛ فإما تراه يقصد توحيد الله تعالى في العبادات الشعائرية، أوجانب التنسك، أو جانب الاستغاثة والدعاء والتوكل، متجاهلاً توحيده ﷻ في الحكم والتشريع، والطاعة والاتباع، والولاء والبراء..!

وهو كذلك لو أراد أن يعري الشرك ويحذر منه، تراه يطنب في تعرية شرك القبور والبدع والشعوذة، بينما يتغاضى . بحكم التربية التي تربى عليها وطريقة التلقي التي نشأ عليها . عن شرك "القصور" ونعني به شرك الحكم والتشريع، وشرك الطاعة والاتباع، وشرك الولاء والبراء .. هذا إذا لم يكن هو ذاته واقعاً في هذا الجانب من الشرك وهو يعلم أو لا يعلم ..!

وهذا كله . كما تقدم . مغاير لمنهج الطائفة المنصورة، التي تأخذ الإسلام أخذاً شمولياً من دون إفراط أو تفريط في أي جانب من جوانبه.

ثانياً: وهو السبب الثاني الذي يحمل بعض الناس على الاهتمام ببعض الدين دون بعض .. ويكمن في تلبيس إبليس على كثير من المسلمين حيث يصرفهم عن الأهم بالمهم وعن الواجب إلى المندوب، وعن العمل بمجموع جوانب الدين إلى العمل بجزئية من جزئياته والوقوف عندها الزمن الطويل، ولربما يقضي أحدهم عمره معتكفاً على هذه الجزئية من دون أن يتحول عنها إلى جزئية أو جانب آخر من جوانب الدين، فيقع في المحظور المشار إليه . عن قصد أو غير . وهو العمل ببعض الدين دون بعض، والاهتمام بجوانب منه دون جوانب.

فترى أحدهم يزين له الشيطان . على سبيل المثال . الاهتمام بالشعر والأدب، فيغوص في قراءته ودراسته الزمن الطويل، ولربما يقضي عمره كله وهو منشغل بذلك، وبالمقابل قد تجده لا يفقه معنى"لا إله إلا الله" ، وما هي شروطها ومتطلباتها وما هي نواقضها.

وكذلك يكون قد انشغل بالشعر عن قراءة القرءان الكريم وتدبر آياته، وكذلك كتب السنة والحديث وغيرها من العلوم النافعة الضرورية التي تعلو الشعر أهمية ونفعاً، وكفاه في ذلك خسارة وضياعاً لطاقاته وعمره .. ومثل هذا لو أراد أن يشارك في أي نشاط أو عطاء فكري ثقافي تراه يعكس بيئته الفكرية والثقافية التي اكتسبها من خلال دراسته .. فالإناء ينضح ما فيه .. فيؤذي نفسه وغيره.

ومن تلبيس إبليس أيضاً أن يشغل المرء في مسألة من المسائل الدينية مضيعاً وقته وعمره فيها، وعلى حساب بقية مسائل الدين الأخرى حتى أنه يعرف بها وتعرف به، وكم من داعية تراه يدندن حول مسألة معنية أو شعار معين لا يتجاوزه إلى غيره إلى أن يحمل إلى قبره، فيفاجأ حينئذٍ بما قدم لنفسه!

قال ابن القيم رحمه الله في صفة أهل العبودية المطلقة: العلامة الثانية قوله:" ولم ينسبوا إلى اسم " أي لم يشتهروا باسم يعرفون به الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق. وأيضاً فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد، يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال؛ فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة.

وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم؛ فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول. وعن طريقه؟ قال: الاتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى. وعن مذهبه ؟ قال: تحكيم السنة .. وعن مقصوده ومطلبه؟ قال: يريدون وجهه. وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾، وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلامُ لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال:" مالك ولها؟ معها حذاؤها و سقاؤها، ترد الماء، وترعى الشجر، حتى تلقى ربها "[١٤٢].

واحسرتاه تَقضَّى العمرُ وانصرمَت ساعاتُه بين ذلك العجزِ والكسل

والقومُ قد أخذوا درب النجاة وقد ساروا إلى المطلَب الأعلى على مَهْل

إلى أن قال: فإن الآفات كلها تحت الرسوم والتقيد بها، ولزوم الطرق الاصطلاحية والأوضاع المتداولة الحادثة، وهذه هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله وهم لا يشعرون.

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى السنة، يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها.

فمن الناس من يتقيد بلباس لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها، أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه، فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيدتم العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة، وتفريغ القلب ويعد العلم قاطعاً له عن الطريق فإذا ذكر له الموالاة في الله والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عد ذلك فضولاً وشراً، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك، أخرجوا من بينهم وعدوه غَيْراً عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله[١٤٣]ا . هـ.

ـ تنبيه: يوجد بعض من ينتسبون إلى الدعوة والدعاة يهملون المهم والمندوب متسترين بالانشغال بالأهم والواجب .. وإذا ذكّرت أحدهم بنافلة من النوافل سرعان ما ينكر عليك اهتمامك بالفرعيات، ويدعوك للاشتغال بالأهم والواجبات ..!!

---

[١٤٢] إشارة إلى جواب النبي ﷺ لمن سأله عن لقطة الإبل.

[١٤٣] مدارج السالكين:٣/ ١٧٤و ١٧٦.

وهذا أيضاً من تلبيسات إبليس على من يقعون في شباكه وشراكه .. فإن عمر ﷺ وهو على فراش الموت ينازع .. حيث الحاجة ماسة لكلمات يوصي بهن الأمة .. ومع ذلك لم يتردد في أن يأمر زائره وعائده بأن يرفع ثوبه .. فإنه أتقى لله .. وأنقى للثوب!

ولكن الذي يمكن قوله هنا: أن الاهتمام والانشغال بالأهم وبالواجبات لا يستلزم تفويت المهم والمندوبات، إلا إذا تزاحم الأهم والمهم أو الواجب والمندوب في وقت واحد وكان لا بد من اختيار أحدهما وتقديمه على الآخر، فحينئذٍ يقتضي الفقه أن تقدم الأهم والأوكد على المهم والمندوب .. وهذا العلم الهام يجده القارئ في كتب الفقه والأصول التي تناولت فقه الأولويات والموازنات، وفقه الضرورات .. فليُراجع.

ـ فقــه الـواقـع:

ما كنا نود أن نتكلم عن هذه المسألة ونفردها تحت عنوان مستقل، لولا أن لمسنا في الآونة الأخيرة وجود نفر من المسلمين يقللون من أهمية فقه الواقع، وأهمية الانشغال به .. حيث قالوا بعدم وجوبه على العلماء وطلبة العلم فضلاً أن يكون واجباً على سواهم من العامة، ومنهم من بالغ في التقليل من أهميته حتى عدوا الاشتغال به ضرباً من الترف والعبث، وتضييعاً للوقت في غير فائدة أو جدوى تذكر ..!

ومنهم من صرح على الملأ ـ متباهياً بذلك ـ بأنه لا يقرأ جريدة .. ولا يسمع إلى الأخبار .. لانشغاله بطلب العلم ..!

والذي يزيد الأمر سوءاً أن بعضاً من هؤلاء ينسبون قولهم هذا إلى السلف الصالح والمنهج السلفي .. حتى بلغ الأمر ببعضهم أنهم يعتبرون من يهتم بفقه الواقع أو يقول بوجوبه وضرورته .. ليس سلفياً وهو على غير منهج السلف!!

لذا رأيت من الواجب ـ ما دام حديثنا عن الطائفة المنصورة وصفاتها وخصائصها ـ أن أجيبت عن هذه الشبهة، مبيناً وجه الحق في المسألة الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وفعل السلف الصالح.

وقبل أن نشرع في بيان حكم الاشتغال بهذا النوع من الفقه؛ وبيان الواجب منه وما هو دون ذلك .. لا بد أولاً من أن نثبت شرعية هذا الفقه وأهميته .. وبيان مدى الحاجة إليه.

ـ شـرعيـة فقـه الـواقـع وأهميتـه:

مشروعية فقه المسلمين لواقعهم وما يجري حولهم من وقائع وأحداث، وما يحاك وينفذ ضدهم من مؤامرات، أمر دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وسيرة سلفنا الصالح.

قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأنعام:٥٥.

قال ابن كثير: أي ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل[١٤٤]. لنعرفها .. فنعتزلها .. ونحذرها .. ونُحذِّر منها .. إذ جاهل الشيء من السهل أن يقع في شباك وشراك هذا الشيء .. وهو يحسب أنه يُحسن صنعاً!

ثم أن الشيء يُعرف بضده .. فبقدر ما تُعرف قباحة الباطل وآثاره المدمرة بقدر ما تُعرف قيمة الحق .. وقيمة آثاره النافعة.

يقول سيد قطب رحمه الله: إن هذا المنهج لا يعنى ببيان الحق وإظهاره حتى تستبين سبيل المؤمنين الصالحين فحسب. إنما يعنى كذلك ببيان الباطل وكشفه حتى تستبين سبيل الضالين المجرمين أيضاً، إن استبانة سبيل المجرمين ضرورية لاستبانة سبيل المؤمنين.

إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح، واستبانة سبيل المجرمين هدف من أهداف التفصيل الرباني للآيات. ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتد غبشاً وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم .. ومن هنا يجب أن تبدأ كل حركة إسلامية بتحديد سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين[١٤٥].

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تفضح سبيل المجرمين من المنافقين، واليهود والنصارى، والمشركين من عبدة الأوثان وغيرهم، وتبين حقيقة أمرهم، وما يضمرونه للإسلام والمسلمين من شر وضغينة، حتى أن في القرآن لسورة اسمها "الفاضحة"[١٤٦] لكثرة الآيات فيها التي تفضح المنافقين، وتبين حقيقة أمرهم وخبايا نفوسهم الإجرامية .. وهذا كله يعتبر من فقه الواقع وداخل فيه.

وأما السنة فقد دلت دلالة صريحة على اهتمام النبي ﷺ بهذا الجانب من العلم " فها نحن نراه ﷺ يوجه المستضعفين من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة دون غيرها .. وهذا برهان ساطع على معرفته ﷺ بما يدور حوله وأحوال الملوك والأمم المعاصرة له.

لماذا لم يرسل الصحابة إلى فارس أو الروم أو غيرهم .. ولماذا اختار الحبشة لهم ..؟!

يبين ذلك ﷺ بقوله:" إن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ". مما يدل أن النبي ﷺ له دراية تامة بسيرة، وصفات، وأحوال ملك الحبشة .. ومدى قدرته على حماية أصحابه.

تصور لو كان اختيار الحبشة غير صائب كم كانت التكاليف ستكون شاقة ومكلفة ..؟!

وها نحن نرى المرحلية في الدعوة ملائمة للواقع الذي تعيشه، ونجده ﷺ يختار المدينة مكاناً لهجرته، ويتعامل مع جميع الأطراف الموجودة فيها وحولها بأسلوب يناسب أحوالها، وعندما أرسل ﷺ معاذاً

---

[١٤٤] تفسير ابن كثير: ٢/ ١٤١.

[١٤٥] في ظلال القرآن: ٢/ ١١٠٥- ١١٠٧.

[١٤٦] هي سورة التوبة.

إلى اليمن قال له:" إنك تأتي قوماً أهل كتاب " وهذا من إدراكه ﷺ واقع كل بلد وما يحتاج إليه ولذلك قال له:" فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ..".

وكذلك نلمس عمق هذا العلم في غزواته ورسائله إلى الأمم والملوك والقبائل.

وكذلك يبرز هذا الجانب في استقباله للوفد وتعامله معهم وإنزاله للناس منازلهم "[١٤٧]. حتى أن أحدهم كان يسأل النبي ﷺ عن اسم أبيه[١٤٨]، وكان ﷺ يجيبه ..!

وكذلك مما يدل على أهمية فقه الواقع وشرعيته، الأحاديث النبوية التي تدل على أن المسلمين كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والقلق والحمى، وأن المؤمن يألم لما يصيب أهل الإيمان كما يألم الرأس لما يصيب الجسد .. مهما تباعدت بينهم الأقطار والمسافات، أو اختلفت جنسياتهم ولغاتهم .. وهذا المطلب الشرعي الديني كيف يمكن تحقيقه وتجسيده عملياً في واقع وحياة المسلمين من دون اهتمامهم بفقه الواقع ومعرفة ما يجري لإخوانهم المسلمين في إطراف المعمورة ..؟!

كم هو مؤلم أن تحصل مجزرة لإخواننا المسلمين في الصين أو الهند .. ثم بعد خمس سنوات من حصول المجزرة نسمع بها .. فنفوت بذلك علينا واجب النصرة والذود عن الحرمات ..!

قال رسول الله ﷺ:" المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لما يصيب أهل الإيمان كما يألم الرأس لما يصيب الجسد "[١٤٩].

وقال ﷺ:" ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم، وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " متفق عليه.

وقال ﷺ:" المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه اشتكى كله وإن اشتكى عينه اشتكى كله"[١٥٠].

أي إن اشتكى مسلم مظلمة نزلت به، ضج له المسلمون جميعاً في أرجاء المعمورة غضباً وانتصاراً له، ولا يهدأ لهم بال ولا تطمئن لهم نفس حتى ينتصروا له من ظالمه وينصفوه.

ومثل هذا الشعور المتماسك المتضامن كيف يتم تحقيقه من دون الاهتمام بفقه الواقع الذي منه معرفة ما يجري للمسلمين وما يحاك ضدهم من مؤامرات ومجازر .. وما أكثرها في هذه الأيام ؟!

وكم هم المسلمون . في واقعنا المعاصر . الذين تنتهك حرماتهم ومقدساتهم .. وبقية إخوانهم في العالم الإسلامي لا يدرون عنهم شيئاً، وإن كانوا يدرون لا يحركون ساكناً، بحجة أن الاشتغال بفقه الواقع ليس واجباً عليهم، وليس من اختصاصهم ..!!

---

[١٤٧] بتصرف عن كتاب " فقه الواقع " للشيخ ناصر بن سليمان العمر، وهو كتاب جيد ننصح بقراءته.

[١٤٨] الضمير هنا عائد إلى السائل.

[١٤٩] أخرجه أحمد، صحيح الجامع: ٦٦٥٩.

[١٥٠] رواه أحمد ومسلم، صحيح الجامع : ٦٦٦٨.

أما الأدلة التي تدل على اهتمام سلفنا الصالح بفقه الواقع، فهي أكثر من أن تحصر في هذه الأوراق، ولعل من أبرزها اهتمام الصحابة بالحرب التي كانت بين الروم والفرس، حيث كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم من عبدة النار، واقرب إلى الوثنية.

وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب،[١٥١] وأهل الكتاب مهما اشتد انحرافهم وكفرهم فهم أقل كفراً من عبدة الأوثان والنيران.

وقد بلغ اهتمام الصحابة بالحرب الدائرة بين فارس والروم، مبلغاً جعل أبا بكر ﷺيراهن . وكان لم يحرم بعد . مشركي قريش على أن النصر سيكون حليف الروم في بضع سنين، كما قال تعالى:﴿ الم . غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنون بنصر اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾الروم:٥. وهذا انشغال من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالواقع وما يدور حولهم من أحداث ..!

ومن يتأمل سيرة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم مع الفِرق الضالة التي كانت تظهر في زمانهم، وردهم على شبهاتهم ومعتقداتهم، وبيان زيغهم وضلالهم، يدرك مدى اهتمام سلفنا الصالح بالواقع، وأنهم أعرف الناس بهذا النوع من العلم لارتباطه ارتباطاً وثيقاً بمقاصد الدين التي جاء للحفاظ عليها.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:" ما أنا بالخب ولا الخب يخدعني"، فالمسلم كيِّس فطن لا يلدغ من جحر مرتين، وهذا لا يتأتى له إلا إذا كان فقيها بواقعه مدركاً لحقيقة ما يجري حوله.

ـ حكمـه:

بعد أن بينا شرعية فقه الواقع وأهميته، لا بد أن نبين حكمه؛ هل يدخل طلبه في الأمور الواجبة أم في الأمور المندوبة ..؟

وللجواب على ذلك نقول: التفقه بفقه الواقع، منه ما يكون واجباً، ومنه ما يكون مندوباً، ومنه ما يكون مباحاً، ومنه ما يكون إثماً وحراماً.

١- ما يعتبر طلبه واجباً: وهو كل ما يتعلق بالعقيدة، ويكون طلبه شرطاً لسلامة العقيدة والتوحيد، كمعرفة أنواع الشرك المستحدثة السائدة بين الناس، والآلهة المزعومة التي تعبد في زماننا من دون الله تعالى، وهذا النوع من العلم واجب على الخصوص والعوام من المسلمين لأنهم من دونه قد يقعون في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى وهم لا يدرون، وقد يقعون كذلك في موالاة الطاغوت ومناصرته ظناً منهم أنهم يوالون مسلماً يستحق الموالاة والنصرة، وخطر كهذا لاشك أن دفعه واجب، وهذا يتأتى إلا بالعلم بحقيقة الطواغيت التي تعبد من دون الله، وبالجوانب الشركية والكفرية التي تمارس من جهتهم، وإلا كيف يتم الكفر بالطواغيت

---

[١٥١] انظر تفسير ابن كثير.

والمرء يجهلها .. ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما أن هذا النوع من العلم الضروري يدخل في أولويات معنى قوله تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه ﴾ محمد:١٩. وقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل:٣٦. واجتناب الطاغوت لا يتم إلا بعد معرفته ومعرفة صفاته وأنواعه.

ونتيجة إهمال كثير من المسلمين لهذا الجانب من العلم، نجد بعضهم . ومنهم من يعتبر من الخواص . يقعون في الشرك وهم لا يدرون، ولو سألتهم لأجابوك أنهم على العقيدة السليمة، والتوحيد الكامل الذي لا يشوبه أدنى شرك .. بل لا يتورعون أن يقولون لك: نحن الطائفة المنصورة!!

ولا أدل على ذلك من مناداة بعض خواص المسلمين فضلاً عن عامتهم بالديمقراطية التي تشرك الشعب مع الله، وتجعل منه نداً لله تعالى في التشريع وسن القوانين، وفي أخص خصائص الألوهية .. ومطالبتهم بالنظام الديمقراطي الحر الذي يكفل الحريات على إطلاقها[١٥٢].

وهم كذلك من قبل نادوا بالاشتراكيه، والقومية العلمانية، والوطنية الوثنية . التي تقوم على مبدأ أن الدين لله والوطن للجميع؛ وهذا يعني أن الله تعالى لا دخل له في شؤون الوطن والمواطنين !! . وغيرها من الأوثان التي تعبد من دون الله تعالى، والتي لا تزال إلى أيامنا هذه يوجد من يدعو لها، ويعقد الولاء والبراء على أساسها .. ويعمل على نشرها بين العباد .. وهو بعد كل ذلك يحسب أنه المسلمين .. وأنه ممن يُحسنون صنعاً!!

ومما يدخل أيضاً . من فقه الواقع . في حكم الوجوب ما يكون معرفته سبباً للقيام بالواجب، للقاعدة التي تقول:" مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب "؛ كواجب نصرة المسلمين بعضهم بعضاً والذود عمن تنتهك حرماته منهم، فهذا واجب لا يتم إلا إذا سبقه اهتمام بمعرفة ما يجري للمسلمين وما يحاك ضدهم من مؤامرات ومظالم .. ومجازر وانتهاكات!

وفي السنة، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال :" المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"متفق عليه. أي لا يسلمه للظلم والقهر والعذاب .. وهو قادر على نجدته وإغاثته!

وقال ﷺ:" انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً "، فقال رجل: يا رسول الله انصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال:" تمنعه من الظلم، فذاك نصرك إياه" متفق عليه.

وقال ﷺ:" من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"[١٥٣].

وقال ﷺ:" من حمى مؤمناً من منافق، بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم "[١٥٤].

---

[١٥٢] انظر كتابنا" حكم الإسلام في الدمقراطية والتعددية الحزبية ".فقد تناولنا بالتفصيل المزالق العقدية والشرعية المترتبة عن هذا الدين الجديد!

[١٥٣] رواه أحمد، والترمذي، وصحيح الجامع: ٦٢٦٢.

[١٥٤] صحيح سنن أبي داود: ٤٠٨٦.

وقال ﷺ:" المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته،[١٥٥] ويحوطه[١٥٦] من ورائه"[١٥٧].

وقال ﷺ:" ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن يُنتقض فيه عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته"[١٥٨]. وغيرها كثير من الأدلة التي تدل على وجوب انتصار المسلم لأخيه المسلم والذود عنه وعن حرماته.

والسؤال الذي يفرض نفسه: كيف نحيي هذا الواجب، إذا كنا نجهل واقع المسلمين وما يحاك ضدهم من مظالم ومؤامرات، ونعتبر الاهتمام بأخبارهم وأحوالهم ضرب من العبث، وتضييع الوقت ..؟!

وهناك مسائل عديدة من فقه الواقع تدخل في حكم الواجب، منها ما يكون واجباً على الخاصة والعاملة سواء، ومنها ما يكون واجباً على الخاصة دون العامة، ومنها ما يكون واجباً على جميع أفراد الأمة، فإذا قام به البعض وتحققت بهم الكفاية، سقط حكم الوجوب عن البعض الآخر. ولو أردنا أن نستقصي ونتناول جميع المسائل التي تدخل في هذه التقسيمات على وجه التفصيل لتشعب بنا الحديث ولخرجنا عن موضوع البحث والغرض منه؛ وهو بيان " **صفة الطائفة المنصورة التي يجب تكثير سوادها** ".

٢- ما يعتبر طلبه مندوباً: وهو كل ما يتعلق بالعلوم الدنيوية النافعة، كالعلوم العسكرية، والعلوم الاقتصادية، والصناعية وغيرها بعدما تحقق الكفاية فيها، أما في حال انعدام الكفاية: تدخل هذه العلوم في حكم الواجب إلى حين تحقق الكفاية في الأمة .. والله تعالى أعلم.

٣- ما يعتبر طلبه إثماً وحراماً: وهو كل ما يفرزه الواقع من أمور محرمة، أو تكون وسيلة إلى الحرام، أو يكون إثم الاشتغال به يعلو عن حسناته .. وهي أكثر من أن تحصر في هذا البحث .. وبخاصة في زماننا هذا الذي كثرت فيه وسائل وألاعيب الشياطين التي لا تزيد المرء إلا بعداً عن الله ﷻ وعن دينه .. ولا شك أن اشتغال المرء بمثل هذه الأمور . وإن كانت من الواقع . يدخله في الإثم والمحظور، إلا إذا كان الاطلاع عليها على نية تعريتها وتحذير الأمة من خطرها، فهذا أمر محمود إله أنه يكون أيضاً بالقدر الذي يسمح به الشرع، حتى لا يقع المرء في حبال إبليس وتلبيساته.

أما المباح منه: فهو كل ما سوى ما تقدم؛ فكل ما خرج عن حكم الوجوب، والمندوب، والمحرم .. يندرج تحت حكم المباح .. والأمثلة عليه كثيرة كذلك!

---

[١٥٥] أي معاشه، والمراد:أنه يمنع عن أخيه تلف معاشه وسبب رزقه.

[١٥٦] أي يحفظه في أهله ونفسه وماله عند غيابه.

[١٥٧] صحيح سنن أبي داود: ٤١١٠.

[١٥٨] رواه أحمد، وأبو داود، صحيح الجامع: ٥٦٩٠.

خلاصة القول: أن فقه الواقع، منه ما يكون واجباً، ومنه ما يكون مندوباً، ومنه ما يكون مباحاً، ومنه ما يكون إثماً وحراماً .. وفق التفصيل المتقدم .. وبالتالي فمن الخطأ أن نشير إلى فقه الواقع بأنه واجب مطلقاً، أو أنه غير واجب مطلقاً .. والحق الذي نعتقده حقاً وصواباً هو التفصيل في المسألة .. والله تعالى أعلم.

٥- الصفة الخامسة: الوسطية والاعتدال:

من أبرز ما يميز الطائفة الناجية المنصورة عن غيرهم من الطوائف والفرق " الوسطية والاعتدال "؛ فهم وسط في جميع شؤون حياتهم الدينية والدنيوية؛ حيث لا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، ولا إسراف ولا تقتير.

كما قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ البقرة:١٤٣.

وعندما نتكلم عن صفة "الوسيطة" للطائفة المنصورة، نعني خصالاً دلت عليها الشريعة هي من أخص خصائص الوسيطة ولوازمها، وهي:

١- الخيرية والعدل: كما في الحديث الذي اخرجه البخاري وغيره، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:" يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير! فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾البقرة:١٤٣. والوسط: العدل.

قال ابن كثير: والوسط ههنا الخيار والأجود، كما يقال قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها[١٥٩].

وقال ابن قتيبة: الوسط: العدل الخيار، ومنه قوله تعالى:﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾أي: أعدلهم وخيرهم.

ومما يؤكد على خيرية أمة الوسط قوله تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾آل عمران:١١٠.

قال ابن كثير:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ يعني خير الناس للناس، والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، كما قال في الآية الأخرى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ أي خياراً[١٦٠].

---

[١٥٩] تفسير ابن كثير: ١/ ١٩٦.

[١٦٠] التفسير: ١/٣٩٩.

وكذلك قوله ﷺ:" أنتم تتمّون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى"[١٦١]. وذلك لا لنسب أو عرق أو جنس .. وإنما لكونها الأمة الأكثر أمراً بالمعروف، والأكثر نهياً عن المنكر.

وقال ﷺ:" أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء " فقلنا يا رسول الله ما هو؟ قال نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم "[١٦٢].

قلت: وأولى أمة محمد ﷺ بصفة الخيرية والعدل هم الطائفة المنصورة، الذين يقومون بمهام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذود عن الدين وحرماته كما سبق بيان ذلك.

ونحن عندما نقرر صفة العدل للطائفة المنصورة، نريد أن نستلفت الانتباه إلى أن الطائفة المنصورة من خصالهم إنصاف الناس . ولو كانوا أعداء . وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها من غير محاباة لأحد على حساب أحد، فيشهدون على المحسن بأنه محسن وعلى المسيء بأنه مسيء أياً كان ومهما كان، ومن غير غلو أو جفاء وتفريط.

فليس العظمة في أن تنصف الآخرين في حال الرضى والسلم .. وإنما العظمة أن تنصف الآخرين في حال السخط والحرب .. وتتعامل معهم بعدل من غير محاباة أو ميل لهوى أو نفس .. وهذا لا يتحقق إلا لأمة الإسلام؛ كما قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾المائدة:٨.[١٦٣].

٢- الاستقامة على منهاج النبوة؛ صراط اللّه المستقيم:

وهي من أبرز خصائص "الوسطية" التي تتصف بها الطائفة المنصورة، كما قال تعالى:﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾البقرة:١٤٣. فهم أمة وسط لالتزامهم صراط الله المستقيم.

وقال تعالى في سورة الفاتحة:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة:٦-٧ . فهو صراط بين صراطين، صراط المغضوب عليهم؛ وهم

---

[١٦١] رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن. قال الألباني وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وإسناده حسن. مشكاة المصابيح: ٦٢٨٥.

[١٦٢] قال ابن كثير في التفسير ١/ ٤٠٠ تفرد به أحمد من هذا الوجه، وإسناده حسن.

[١٦٣] تأمل مثلاً عشرات القوانين التي صدرت مؤخراً في بعض بلاد الغرب .. حامية حقوق الإنسان .. والتي مفادها الترخيص باعتقال من يشاءون من المسلمين .. فقط من المسلمين .. للفترة الزمنية التي يشاءون .. من غير محاكمة ولا قضاء عادل .. بل ومن دون ذنب ثابت .. بزعم ملاحقة الإرهاب .. مع التنبيه إلى أن هذه القوانين لا يجوز أن تشمل المواطنين المحليين من أبناء البلد .. مهما كانوا إرهابيين ؟!!

اليهود الذين فرطوا بحق الله تعالى وحقوق الأنبياء عليهم، وصراط الضالين؛ وهم النصارى الذين غالوا بالترهب وفي قولهم في عيسى عليه السلام بغير حق.

قال الطبري في التفسير ٢/٦: إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين؛ فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلو بالترهيب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها ا– هـ.

وقال تعالى:﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾هود:١١٢.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت:٣٠. وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾فصلت:٦.

وقال تعالى:﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام:١٥٣.

وفي الحديث، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فخط خطاً هكذا أمامه فقال:"هذا سبيل الله عز وجل" وخط خطاً عن يمينه، وخط خطاً عن شماله وقال:" هذه سبل الشيطان " ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية:﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾الأنعام:١٥٣.[١٦٤].

وفي معنى الاستقامة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب.

وقال الحسن: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته.

وقال ابن تيميه: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة.

قال ابن القيم: فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين؛ وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال والأحوال، والنيات. فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيميه يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة[١٦٥].

---

[١٦٤] رواه ابن عاصم في السنة، وصححه الألباني في التخريج: ١٦.

[١٦٥] مدارج السالكين:٢/ ١٠٤–١٠٥.

وفي معنى "الصراط المستقيم" قال الطبري في قوله تعالى:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه[١٦٦].

وقال ابن كثير في التفسير١/٢٩: اختلف عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول ا– هـ.

وقد تقدم أن الطائفة الناجية المنصورة هم أولى الناس استقامة واتباعاً لله ولرسوله ﷺ .

٣- التيسير .. واجتناب الغلو والتشدد في الدين:

فالتيسير في الدين .. واجتناب التشدد والغلو يُعد من أبرز خصال ومدلولات الوسطية، تنتفي الوسطية بانتفائها، وتوجه بوجودها.

حيث أن النبي ﷺ قد نهى عن الغلو والتشدد في الدين، وعد ذلك من خصال من لا خلاق لهم، كالخوارج الغلاة وغيرهم، فقال ﷺ: "إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"[١٦٧]. والغلو هو كل ما زاد عن المشروع.

وقال ﷺ:" رجلان ما تنالهم شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وآخر غالٍ في الدين مارق منه "[١٦٨].

وقال ﷺ:" فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه "[١٦٩].

وقال ﷺ:" عليكم هدياً قاصداً، فإنه من يغالب هذا الدين يغلبه"[١٧٠]. والهدي القاصد هو الهدي الوسط حيث لا إفراط ولا تفريط.

وقال ﷺ:" القصد القصد تبلغوا" البخاري. أي التزموا التوسط والاعتدال من غير جنوح إلى غلو أو جفاء .. تصلوا إلى النجاة وتفوزوا بالجنان والرضوان.

وقال ﷺ:" هلك المتنطعون " قالها ثلاثاً. مسلم.

قال النووي رحمه الله: أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [١٧١].

وقال ﷺ في الرهط الذين تقالوا عبادته قياساً إلى عبادتهم:" أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" متفق عليه. وهذا حديث تتجلى فيه جميع معاني ومدلولات الوسطية.

---

[١٦٦] التفسير: ١/ ٧٣.

[١٦٧] رواه النسائي، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: ١٢٨٣.

[١٦٨] رواه أبي عاصم في السنة، وصححه الألباني في التخريج.

[١٦٩] رواه ابن أبي العاصم في السنة، وصححه الألباني.

[١٧٠] رواه ابن أبي العاصم، وصححه الألباني.

[١٧١] شرح صحيح مسلم:١٦/٢٢٠.

وقال ﷺ في الخوارج الغلاة، الذين يكفرون المسلمين بالذنوب والمعاصي التي هي دون الكفر، وبالشبهات والظن:" سيخرج من أمتي قوم يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلواتكم إلى صلواتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يرون أنه لهم وهو عليهم لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية " مسلم.

وقال ﷺ:" يقتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد " متفق عليه.

قلت: فهم يقتلون أهل الإسلام لما غالوا في تكفيرهم بغير حق، الذي من لوازمه استباحة حرماتهم وقتلهم، وفي الحديث:" تكفير المسلم كقتله ".

وقال ﷺ فيهم أيضاً:"يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية "[١٧٢].

وقال ﷺ:" إن فيكم قوماً يتعبدون حتى يعجبوا الناس، ويعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية "[١٧٣].

وعن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه، أن نبي الله ﷺ مر برجل ساجد . وهو ينطلق إلى الصلاة . فقضى الصلاة، ورجع إليه وهو ساجد!!، فقام النبي ﷺ فقال:"من يقتل هذا ؟" فقام رجل، فحسر عن يديه فاخترط سيفه وهزه، ثم قال:يا نبي الله! بأبي أنت كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله ؟! ثم قال:"من يقتل هذا ؟" فقام رجل فقال: أنا فحسر عن ذراعيه، واخترط سيفه وهزه حتى أرعدت يده، فقال: يا نبي الله! كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله ؟! فقال النبي ﷺ:" والذي نفسي بيده، لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها "[١٧٤].

ونحو الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري: أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني مررت بوادي كذا وكذا، فإذا رجل متخشع حسن الهيئة، يصلي. فقال له النبي ﷺ:" اذهب إليه فاقتله" قال: فذهب إليه أبو بكر، فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع إلى رسول الله ﷺ، قال: فقال النبي ﷺ لعمر:" اذهب فاقتله"، فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر، قال: فكره أن يقتله، قال: فرجع، فقال: يا رسول الله! إني رأيته يصلي متخشعاً فكرهت أن اقتله، قال:" ياعلي! اذهب فاقتله" قال: فذهب علي فلم يره، فرجع علي فقال:يا رسول الله! إنه لم يره، فقال ﷺ:" إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، حتى يعود السهم في فوقه، فاقتلوهم، هم شر البرية"[١٧٥].

فتأمل كيف خسروا دنياهم وآخرتهم بسبب غلوهم وتشددهم في الدين.

---

[١٧٢] رواه أحمد، وابن عاصم في السنة، وصححه الألباني في التخريج.

[١٧٣] أخرجه أبو يعلى، السلسلة الصحيحة: ١٨٩٥.

[١٧٤] أخرجه أحمد، السلسلة الصحيحة: ٢٤٩٥.

[١٧٥] أخرجه أحمد، قال الألباني: إسناده حسن. السلسلة الصحيحة:٥/٦٥٩.

ومن الأدلة على استحباب التيسير . بل على وجوبه . ورفع الحرج عن العباد في الدين، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج:٧٨. وقوله تعالى:﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾المائدة:٦ . وقوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾النور:٦١. وقوله تعالى:﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾البقرة:١٧٣. وقوله تعالى:﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾الأنعام:١١٩. وقوله تعالى:﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة:٢٨٦ . وقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة:١٨٥. وقوله تعالى:﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ الأعلى:٨ . وقوله تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ الشرح:٦. وغيرها كثير من الآيات التي تحض على التيسير وتجنب التعسير والتشدد في الدين!

وفي السنة فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لها العسر"[١٧٦].

وقال ﷺ:" ادعوا الناس، وبشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا "[١٧٧].

وقال ﷺ:" إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً " مسلم.

وقال:" إن الدين يسر ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا" البخاري.

وقال ﷺ:" إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره "[١٧٨].

وقال ﷺ:" لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة "متفق عليه.

وقال ﷺ:" إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فاتجوز كراهية أن أشق على أمه " البخاري.

وقال ﷺ:" أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة " متفق عليه.

ومن الآثار قول ابن مسعود: إياكم والتنطع، إياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق.

وكان عمر ﷺ يقول: نهينا عن التكلف. وقد مر في طريق فسقط عليه شيء من ميزاب، فقال رجل مع عمر: يا صاحب الميزاب، ماؤك طاهر أو نجس؟ فقال عمر: يا صاحب الميزاب، لا تخبرنا، ومضى.

---

[١٧٦] رواه الطبراني، صحيح الجامع: ١٧٦٩.

[١٧٧] رواه مسلم، صحيح الجامع:"٢٤٦".

[١٧٨] رواه أحمد وغيره.

وروي أن ابن عمر سئل عن الجبن الذي تصنعه المجوس؟ فقال: ما وجدته في سوق المسلمين اشتريته ولم أسأل عنه.

وقال الإمام الشعبي: إذا اختلف عليه أمران فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق، لقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ .

وقال معمر وسيفان الثوري: إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد.

وقال إبراهيم النخعي: إذا تخالجك أمران فظن أن أحبهما إلى الله أيسرهما.

وروي عن مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز: أفضل الأمرين أيسرهما، لقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾[١٧٩].

ولكن طلب الأيسر لا ينبغي أن يكون ذريعة . كما يفعل أصحاب النفوس المريضة . لتجاوز المشروع المسنون عن النبي ﷺ، فإن من هديه ﷺ أنه كان إذا خير بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن مخالفاً لأمر الله تعالى.

كما أن الوقوف على المشروع المسنون من غير إفراط ولا تفريط، لا يجوز أن يسمى غلواً .. أو مغايراً للتيسير .. كما يفعل من تسول لهم أنفسهم الرغبة في التفلت من قيود الشريعة بزعم التماس التيسير..!!

فإن اتهام من يلتزمون السنة ولا يتجاوزونها إلى زيادة أو نقصان بأنهم من أهل الغلو أو التشدد .. هو . أي هذا الاتهام . من الغلو والتنطع .. وهو اتهام لشرع الله تعالى بالغلو .. وللنبي ﷺ بالغلو والتشدد .. ومن يتهم شرع الله تعالى بالغلو أو يرمي نبي الله بالغلو .. كمن يتهمه بالنقص أو التفريط، وهذا عين الكفر والمروق من الدين.

لذا ينبغي على الناس أن ينتبهوا لاطلاقاتهم وكلامهم عندما يصفون شيئاً بأنه من الغلو .. أو ليس من الغلو .. فرب كلمة يطلقها المرء لا يُلقي لها بالاً توبقه في جهنم سبعين خريفاً!!

٤- التوسيط بين خلقين كلاهما مذموم وسيء: ومن معاني الوسطية التوسط بين أمرين كلاهما باطل؛ حيث أن الحق وسط بين باطل وباطل، من غير جنوح إلى زيادة أو نقصان.

قال الإمام الطحاوي في متن العقيدة الطحاوية: ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام؛ وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس ا . هـ .

وقال ابن القيم: قال بعض السلف: ما أمر الله إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة؛ وهي الإفراط. ولا يبالي بأيهما ظفر، زيادة أو نقصان[١٨٠].

---

[١٧٩] انظر تخريج الآثار المذكورة أعلاه، كتاب الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، للشيخ ناصر العمر.

قال ابن تيميه: فإن الفرق الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم. وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم. وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية. وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج[١٨١] ا – هـ.

وقد تقدم قول الإمام الطبري في تفسيره ٢/٦، حيث قال: إنما وصفهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلو بالترهيب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها ا– هـ.

. تنبيه: من خلال ما تقدم يعلم بطلان وخطأ فهم الانهزاميين المفرطين . أصحاب الحلول الوسط . للوسطية في الدين، حيث اعتبروها وسطاً بين الحق والباطل، وبين الممدح شرعاً والمذموم شرعاً، وبين الجيد والضعيف، فوفقوا . بزعمهم وباسم الوسطية . بين الحق والباطل، وقاربوا بين الكفر والإيمان بحلول وسط وهكذا كل أمر ارادوا تمييعه والتفلت منه ردوه إلى وسطيتهم وتحريفاتهم .. وإذا ماسئلوا عن ذلك قالوا: الإسلام قد أمرنا بالوسطية والاعتدال .. ونحن نلتزم الوسطية والتوسط!!

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾الكهف:٥ . فهي كلمة حق أرادوا بها باطلاً وتسويقاً للباطل.

فوسطيتهم هذه في نظر وسطية الدين، ما هي إلا تفريط، وجفاء وتقصير .. وهي إثم أشد وأثقل من إثم من يقع في التقصير مع اعترافه بالذنب والتفريط ..!

ـ خلاصة القول: أن الوسطية في الإسلام هي من أبرز سمات وخصائص الطائفة الناجية المنصورة التي تميزها عن غيرها من الطوائف .. حيث لا يمكن أن نتصور وجود طائفة مرضية منصورة . يحقق الله على أيديهم النصر والتمكين لدينه . ثم هم في سلوكهم واعتقادهم وأخلاقهم وفهمهم لهذا الدين ينحرفون عن الوسطية والاعتدال إلى غلو أو جفاء .. لا يمكن أن تكون الطائفة المنصورة كذلك .. ولا يمكن أن يكونوا منصورين وهم كذلك .. نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يلتزمون الوسطية والاعتدال من غير إفراط ولا تفريط.

---

[١٨٠] مدارج السالكين: ٢/١٠٨.

[١٨١] شرح العقيدة الواسطية، ص ١٢٤– ١٣٢.

٦- الصفة السادسة:العلـم:

من الخصائص الهامة للطائفة المنصورة كذلك " العلم "؛ وأنهم علماء في أمور دينهم ومعاشهم، إذ من لوازم صفاتهم الأخرى الآنفة الذكر أن يكونوا علماء .. وهذا لا يعني أن جميع أفراد الطائفة المنصورة علماء ومبرزون في طلب العلم وتحصيله، وهم على درجة واحدة من العلم والتحصيل، إلا أن صفهم لا يجوز أن يخلو من العلماء الربانيين العاملين، والذي يقرر ذلك أن الطائفة المنصورة من صفاتهم .كما تقدم . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقاتلون في سبيل الله تعالى، وأن الدين قائم وظاهر بهم، وأنهم أهل عدل وتوسط .. وأهل اتباع واقتداء .. وهذه مهام لا يمكن أن ينهض بها إلا العلماء العاملون أو من يتوفر لديهم قسط لا بأس به من العلم الشرعي .. وإلا فإن جاهل الشيء كفاقده لا يمكن أن يُعطيه.

قال تعالى:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران:١٠٤.

قال الضحاك في تفسير"الأمة":" هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء"[١٨٢].

قال القرطبي في التفسير: معناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء[١٨٣].

وكذلك قوله تعالى:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران:١٤٦. وهذه صفة الطائفة المقاتلة المنصورة، قال الحسن:" ربيون " هم العلماء الصُّبُر[١٨٤].

فدل أن الطائفة المنصورة إذا لم يكونوا كلهم علماء، لا بد أن يتخلل صفوفهم العلماء العاملون.

قال ابن تيميه: والقيام بالواجبات من الدعوة الواجبة وغيرها يحتاج إلى شروط يقام بها، كما جاء في الحديث:" ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، أن يكون فقيهاً فيما يأمر به فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه ".

فالفقه قبل الأمر ليعرف المعروف وينكر المنكر، والرفق عند الأمر ليسلك أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود، والحلم بعد الأمر ليصبر على أذى المأمور المنهى، فإنه كثيراً ما يحصل له الأذى بذلك [١٨٥].

والقصد من بيان هذه الصفة للطائفة المنصورة، أن يدرك القارئ أن من اهتمامات الطائفة المنصورة طلب العلم وتحصيله، وبخاصة العلم المتعلق بشهادة التوحيد" لا إله إلا الله " ومتطلباتها ونواقضها، أفضل وأشرف العلوم على الإطلاق، وهو أول ما ينبغي الابتداء به تعلماً وتعليماً.

---

[١٨٢] تفسير ابن كثير:١/٣٩٨.

[١٨٣] ٤/١٦٥.

[١٨٤] تفسير القرطبي:٤/٢٣٠.

[١٨٥] الفتاوى:١٥/ ١٦٧.

كما قال تعالى:﴿ فَـاعْلَمْ أَنَّـهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه﴾ محمد: ١٩. والعلم بـ "لا إله إلا الله" يكون بفقه معناها، ومعرفة لوازمها ونواقضها، فيأتي باللوازم والشروط اعتقاداً وقولاً وعملاً، وينتهي عن النواقض ويكفر بها، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُـولاً أَنِ اعْبُـدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُـوا الطَّـاغُوتَ ﴾ النحل:٣٦ . وقال:﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَام لَهَا﴾البقرة:٢٥٦.

وفي صحيح مسلم:" من وحد الله تعالى، وكفر بما يعبد من دونه، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ". وفي رواية:" من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله". مفهوم الحديث أن من وحد الله تعالى، أو قال لا إله إلا الله، لكنه لم يكفر بما يعبد من دون الله لا يحرم ماله ودمه [١٨٦].

ومن الأدلة كذلك على أولوية هذا العلم العظيم، ما صح عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ لما أرسله إلى اليمن:" إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله . وفي رواية:لا إله إلا الله . فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض خمس صلوات في يومهم وليلتهم ..".

وعن جندب بن عبد الله، قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً[١٨٧].

منه يعلم خطأ من يزهد بهذا العلم العظيم ويجعله في آخر أولوياته، واهتماماته، وتراه يؤثر أن يكون على إيمان العجائز بدلاً من أن يجتهد في أن يكون على إيمان الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

كذلك مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. والجهاد في سبيل الله فهذا كله يقتضي منهم الاهتمام بطلب العلم وتحصيله؛ ليقوموا بالمهام والواجبات الشرعية الملقاة على عاتقهم على أفضل وأتم وجه.

خلاصة القول:أن من خصائص الطائفة المنصورة العلم، وبخاصة منه العلم بالتوحيد الذي يعني بمجموعه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله .. فإنه إن يكن يحتمل على أفراد الطائفة المنصورة الجهل ببعض مسائل الدين، إلا أنه لا يمكن أن نتصور أحداً منهم يجهل" لا إله إلا الله " ومدلولاتها، وشروطها .. ثم بعد ذلك نشير إليه بأنه من الطائفة المنصورة!

---

[١٨٦] لا يعني ذلك أنه بقوله:"لا إله إلا الله" لا يدخل الإسلام، وأن الشهادة لا تنفعه حتى يأتي بلوازمها وشروطها، فالأمر ليس كذلك؛ فإن شهادة التوحيد تدخل صاحبها الإسلام وهي تنفعه وتحميه وتصون حرماته .. إلا أنه إذا أتى بعد ذلك بناقض للإيمان . من غير عذر شرعي معتبر . يكون قد أتى بالشيء وضده في آن واحد، وبالتالي فإن شهادة التوحيد هنا لا تنفعه ولا تحفظه إلا إذا استدرك على نفسه فتاب وأقلع عن الناقضة التي كانت سبباً في خروجه من دائرة الإسلام، والمسألة أوفيناها بحثاً واستدلالاً في كتابنا " قواعد في التكفير " وكذلك كتاب " شروط لا إله إلا الله ".

[١٨٧] صحيح سنن ابن ماجة: ١٧٠.

٧ـ الصفة السابعة:الصبر والثبات.

للمهام العظام الملقاة على كاهل الطائفة المنصورة فهي طائفة مبتلاة .. فهي والبلاء قرينان لا يفترقان .. فإذا ذُكرت الطائفة المنصورة ذُكر البلاء .. وذُكرت الآلام والجراحات ..!

ومن لوازم البلاء والاحتساب .. الصبر والثبات على الحق مهما تكاثرت سهام الباطل واشتدت عليهم ..!

بلاء من غير صبر ولا ثبات، ولا احتساب .. يتبعه تسخط ونكوص .. يكون نقمة على صاحبه في الدنيا والآخرة .. وهو بلاء غير محمود .. وهو علامة على شقاء وضعف إيمان صاحبه .. و الطائفة المنصورة أبعد الخلق عن هذا الخُلقِ المذموم ..!

طائفة منصورة من دون بلاء .. ولا جراحات .. ولا أشلاء .. ولا آلام ولا دماء .. ولا صبر ولا ثبات .. لن تكون هي الطائفة المنصورة المرضية التي خصها النبي ﷺ بكوكبة عظيمة من الأحاديث ..!

كم أضحكني ذاك المغرور الذي يكثر من تسمية نفسه " بالسلفي الأثري " المقرب من قصور الطواغيت الظالمين .. والذي لا يُعرف عنه قط أنه ابتلي يوماً في الله .. عندما قال لي وبكل وقاحة . مزكياً نفسه ومن على شاكلته .: نحن الطائفة المنصورة .. إذا لم نكن نحن .. فمن هم ..؟!!

هراء .. أضغاث أحلام .. تلبيس إبليس .. لو كانوا يعلمون!!

الطائفة المنصورة .. هم الطليعة في كل ميدان من ميادين الخير والعطاء .. عُرفوا بالجهاد والقتال .. والصدع بالحق .. والظهور على من ناوأهم وخالفهم .. لا يهابون في الله لومة لائم .. وهذه خصال لا يمكن أن تتأتى إلا مع البلاء .. والصبر والثبات على الحق مهما كانت التضحيات، كما قال تعالى:﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾المؤمنون:١١١.

وقال تعالى:﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾القصص:٥٤.

وقال تعالى:﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ الإنسان:١٢.

وقال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾البقرة:١٥٥.

وقد أثنى الله تعالى على الصبر والصابرين، وعلى الذين يتواصون بالصبر، فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ*.إِنَّ الْأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ *إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر.

وقال تعالى:﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾ الأحزاب:٣٥ .

وقال تعالى:﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾آل عمران:١٤٦.

وقال تعالى:﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة:٢٤٩. ومن كان الله معه فلا ضيعة عليه .. ولا خوف عليه.

وفي السنة فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا ".

ولما اشتد البلاء على الصاحبة . رضوان الله تعالى عليهم . وهم في مكة، شكوا إلى النبي ﷺ شدة ما يلاقونه من أذى الأعداء، وسألوه أن يستنصر لهم ويدعو لهم، فقال ﷺ مصبراً إياهم:" قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون " متفق عليه.

والشاهد مما تقدم أن الذي يتطلع لأن يكون من الطائفة المنصورة .. وإلى النصر والفتح والتمكين .. لا بد له من التحلي بالصبر والثبات على الحق وعلى تحمل تبعات هذا الثبات مهما اشتدت ضراوة هذا التبعات، وكانت حجم التكاليف ..!

الطائفة المنصورة هم ورثة الأنبياء .. ودعوة الأنبياء لها أعداء .. ولا بد لمن يرث دعوة الأنبياء من أن يتصدى لأعداء الأنبياء، وأن يُعادى من قبل أعداء الأنبياء .. فانظر إلى ورقة بن نوفل عندما قال للنبي ﷺ:" لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي "البخاري.

فمن كان من ورثة الأنبياء .. ويسير على منهج الأنبياء لا بد من أن يتعرض لما تعرض له الأنبياء من عداء ملل الباطل كلها[١٨٨].

أما من أراد أن يسير على منهج الأنبياء .. ويكون صادقاً وموفقاً في مسيره .. ثم هو مع ذلك لا يريد أن يُبتلى أو أن يكون له أعداء .. فهذا يحلم بالمستحيل .. وهو مثله مثل من أراد أن يجمع بين الشيء وضده معا!

وكذلك لما أراد أهل المدينة مبايعة النبي ﷺ في العقبة الثانية .. أستوقفهم سعد بن زرارة ﷺ ليذكرهم خطورة ما هم قادمين عليه، فقال:" رويداً يا أهل يثرب، إن إخراجه اليوم مفارقة للعرب كافة، أو قتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك، فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله "[١٨٩].

---

[١٨٨] كثير هم الذين يفهمون حديث النبي ﷺ:" العلماء ورثة الأنبياء " فهماً خاطئاً .. حيث تراهم يحصرون الحديث في وراثة العلم .. وحفظ المتون .. من دون مراعاة للعمل ..!

والحق أن العلماء ورثة الأنبياء في العلم والعمل .. ورثة الأنبياء في الجهاد والتضحية، والصدع بالحق .. والصبر على البلاء .. ورثة الأنبياء في الخشية والتقوى .. ورثة الأنبياء في أخلاقهم وكل ما يصدر عنهم من مواقف وأعمال .. فهذا هو الوارث الحقيقي .. وهكذا ينبغي أن يُفهم الحديث .. وعلى هذا المعنى والتفسير ينبغي أن يُحمل!

[١٨٩] رواه أحمد والبيهقي.

هذه هي حجم التبعات والتكاليف: مفارقة للقوم . إن كانوا على الضلالة والكفر . وقتل وتشريد لخيار الدعاة .. وتكالب سيوف أمم الكفر على أهل الحق والإيمان .. فمن كان من ورثة الأنبياء بحق، واراد المسير على طريق الأنبياء .. لا بد له من أن يروض نفسه على تحمل تبعات الدعوة إلى الله .. وتبعات المسير على منهاج وخطى النبي ﷺ .. ويتوقع من الأعداء المزيد من الكيد والمكر .. وأجره على الله.

عجيب أن سعد بن زرارة ومن معه يعرفون كل ذلك في الأيام الأولى من إسلامهم .. وقبل أن يمضوا بيعتهم للنبي ﷺ .. بينما دكاترة زماننا .. وكثير غيرهم ممن يتشبعون بالعلم .. الذين يدرسون العلوم الشرعية السنوات الطوال في الجامعات .. وعلى يد المشايخ .. تراهم في شكٍّ من ذلك .. ويجادلون عليه .. بل وأكثرهم لا يعرفه!!

قال الله تعالى:﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ البقرة:٢١٧.

ولكن:﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾النساء:١٠٤.

قتلانا في الجنة .. وقتلاهم في النار .. والله مولانا .. ولا مولى لهم.

وفي السنة فقد صح أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ فقال: والله يا رسول الله إني أحبك، فقال له رسول الله ﷺ:" إن البلايا أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه " [١٩٠]. أي خذ حذرك واستعداداتك في تقبل البلاء .. إن كنت صادقاً فيما تقول .. فللمحبة برهان .. وبرهانها البلاء والصبر على البلاء .. وإلا ما أسهل أن يدعي المحبة كل امرئٍ ..؟!

وأكثر الناس حباً لله تعالى وللنبيه ﷺ أكثرهم بلاء في الله .. وأكثرهم اتباعاً لمنهاجه وسنته وسيرته، وتخلقاً بأخلاقه ﷺ، كما قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ آل عمران:٣١.

وقال ﷺ:" أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة "[١٩١].

وقال ﷺ:" أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون، وإن كان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء "[١٩٢].

وقال ﷺ عن نفسه:"ما أوذي أحد ما أوذيت في الله عز وجل "[١٩٣].

وقال ﷺ:" كما يضاعف لنا الأجر، كذلك يضاعف علينا البلاء "[١٩٤].

---

١٩٠ رواه ابن حبان، السلسلة الصحيحة:١٥٨٦.

١٩١ رواه الترمذي وغيره، السلسلة الصحيحة:١٤٣.

١٩٢ رواه ابن ماجة وغيره، السلسلة الصحيحة:١٤٤.

١٩٣ السلسلة الصحيحة:٢٢٢٢.

١٩٤ السلسلة الصحيحة:٢٠٤٧.

وقال ﷺ:" إن الصالحين يُشدد عليهم، وإنه لا يصيب مؤناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك، إلا حُطت بها عنه خطيئة، ورفع بها درجة "[١٩٥].

وقال ﷺ:"إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط "[١٩٦].

ومن قصة أصحاب الأخدود، أن الطاغية لما رأى الناس قد آمنوا بالله رب العالمين، وحصل ما كان يخشاه ويكرهه " أمر بالأخدود بأفواه السكك فخُدت وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق " مسلم.

أما الذين يعبدون الله على حرف؛ فيجعلون فتنة الناس كعذاب الله؛ فينقلبون على أعقابهم متسخطين ومنفرين لأدنى بلاء ينزل بساحتهم .. ويكثرون من الولولة وقولهم لو كان لما كان كذا .. هؤلاء لا يحسبون أنفسهم على خير أو أنهم على هدى ..!

فيهم وفي أمثالهم يقول تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾الحج:١١.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فخط خطاً هكذا أمامه، فقال: "هذا سبيل الله عز وجل "، وخط خطاً عن يمينه، وخط خطاً عن شماله، وقال:" هذه سبل الشيطان " ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية:﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٩٧].

وقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾فصلت:٣٠. قال أبو بكر الصديق ﷺ: فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة[١٩٨].

ومن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من استمر في دعوته السنين الطوال، فما آمن معه إلا قليل من الناس، كما قال تعالى عن نوح عليه السلام، الذي ظل يدعو قومه ما يزيد عن تسعمائة عام، فكانت النتيجة كما قال تعالى:﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ هود:٤٠.

بل إن من الأنبياء من لا يؤمن به إلا الرجل الواحد، كما قال ﷺ:" إن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد"[١٩٩].

---

[١٩٥] أخرجه الطبراني وغيره، السلسلة الصحيحة:١٦١٠.

[١٩٦] رواه الترمذي وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: ١٤٦.

[١٩٧] رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر:"١٦".

[١٩٨] الفتاوى:٣٢/٢٨.

لكن كل ذلك لم يكن يجعلهم يستعجلون النصر على الله تعالى، أو يحيدون عن صراط الله المستقيم، ويطلبون السبل الملتوية الخاطئة أملاً في استجلاب الناس إلى دعوتهم[٢٠٠]، حاشاهم .. بل كانوا المثل الأعلى في الوقوف عند الحق لا يتجاوزونه إلى غيره مهما كانت النتائج .. وعظمت التضحيات .. وكانوا دعاة إلى الله تعالى وإلى عبادته وتوحيده .. واجتناب كل ما يُعبد سواه، كما أمرهم الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾النحل:٣٦. هذه هي مهمتهم الأساسية ومهمة الدعاة العاملين من بعدهم إلى يوم القيامة؛ وهي إخراج العباد من عبادة الطاغوت[٢٠١] إلى عبادة الله تعالى وحده.

هذه القضية . قضية من المعبود بحق . هي قضية القضايا التي لا تعلوها قضية .. التي يجب أن ينهض لها العلماء العاملين بكل جد وإخلاص .. لا يلتفتون عنها إلى غيرها قبل أن يفرغوا منها .. وقبل أن يُعطوا الإجابة الصادقة عليها من الناس كل الناس ..!

هذه القضية الهامة التي لم تكن تقبل المساومة عند سلفنا الصالح .. والتي كان على أساسها يُعقد الولاء والبراء، ولأجلها تُسل السيوف، وتُجيش الجيوش ويُعقد السلم والحرب .. إلا أنه وجد في زماننا كثير ممن يُسمون بالدعاة .. قد فرطوا بها، وتجاوزوها إلى غيرها من المهام والمسائل قبل أن تحسم مع الطواغيت

---

[١٩٩] رواه مسلم، صحيح الجامع:١٤٥٨.

[٢٠٠] عن معاذ بن جبل، قال: تكون فتنة يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن، حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير. فيقرأه الرجل سراً فلا يُتبع، فيقول: ما اتبع فوالله لأقرأنه علانية، فيقرأه علانية فلا يُتبع، فيتخذ مسجداً ويبتدع كلاماً ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، فإياكم وإياه فإنها بدعة ضلالة، ثلاثاً.

وفي رواية: فيوشك أن يقول قائل: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة. رواه ابن أبي وضاح بسنده في كتابه"البدع والنهي عنها".

[٢٠١] قال ابن تيميه في الفتاوى ٢٨/ ٢٠٠، في معنى" الطاغوت": الطاغوت فعلوت من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد؛ وهو الظلم والبغي. فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهاً لذلك طاغوت، ولهذه سمى النبي ﷺ الأصنام طواغيت، في الحديث الصحيح لما قال:" ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت ". والمطاع في معصية الله والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله، أو مطاعاً أمره المخالف لأمر الله، هو طاغوت، ولهذا سمى من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت، وسمى فرعون وعاداً طغاة ا . هـ .

وقال ابن القيم في الأعلام ١/ ٥٠: الطاغوت؛ كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله؛ أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته ا . هـ .

وقد أفردنا في الطاغوت .. وما يتعلق به من مسائل كتاباً مستقلاً .. وهو منشور في موقعنا على الإنترنت .. يسهل الوقوف عليه لمن شاء.

الظالمين، وقبل أن يتفقوا معهم على قضية من المعبود بحق في الوجود .. ورضوا بالفتات اليسير الذي يُرمى إليهم ..فباركوه وحسنوه، واستكثروه في أعين الناس .. وعدوه فتحاً ونصراً للدعوة ما بعده من نصر[٢٠٢]..!!

---

٢٠٢ ذُكر أمام أحد هؤلاء الخواص المعروفين بنشاطهم في مجال الدعوة .. ما يلاقيه المسلمون من معاناة وأذى من قبل بعض الأنظمة العلمانية الطاغية الكافرة، فقال مستنكراً على المسلمين وليس على الطغاة: ألم يسمحوا لنا بأن نصلي؟ قيل له: نعم، قال: ألم يسمحوا لنا أن نصوم؟ قيل له: أي نعم، قال: ألم يسمحوا لنا أن نحجب نساءنا ..؟! إذاً علام نستثيرهم علينا بمعاداتهم والتبرؤ منهم ومن معبوداتهم .. فنضطرهم إلى أن يحرموننا من الصلاة والصيام، وتحجيب النساء .. وهذا الخير الذي نحن عليه؟!

وأذكر أنني قلت للشيخ يومها: أليست الدعوة إلى عبادة الله وحده والكفر بالطاغوت هي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؟ فأجاب: أن نعم. فقلت له: من المعبود في زماننا . عند شريحة كبيرة من الناس . الله أم الطاغوت؟ من المطاع لذاته، الله أم الطاغوت؟ من الذي يُشرع للعباد، الله أم الطاغوت؟ من الذي يُعقد عليه الولاء والبراء، الله أم الطاغوت؟ من الذي يُحب لذاته، الله أم الطاغوت؟ ممن يتلقى الناس قيمهم وقوانينهم ودساتيرهم، من الله أم الطاغوت؟ إلى من يرد النزاع والخلاف بين الناس، إلى الله أم إلى الطاغوت ..؟؟!

فإذا كان الجواب الطاغوت . وهو كذلك . أدركت يا شيخنا أن أكثر الناس في زماننا قد عدلوا عن عبادة الله ﷻ إلى عبادة الطاغوت ..!

ثم لو كان دين الله مجرد صلاة وصيام وشعائر تعبدية تصرف لله تعالى، وما سوى ذلك يصرف للطاغوت، وهو من نصيبه، لو كان الأمر كذلك لما حصل هذا الصراع والتدافع بين الحق وأهله من جهة وبين الباطل وأهله من جهة أخرى، عبر التاريخ الإنساني وإلى أيامنا هذه، وإلى أن تقوم الساعة، وسيرة الأنبياء والمرسلين مع طواغيت زمانهم هي خير دليل على حقيقة هذا الصراع والتدافع الذي لولاه لما عبد الله في الأرض، كما قال تعالى:﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة:٢٥١ . وقال تعالى:﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾الحج:٤٠.

أما البراءة من الشرك وأهله ومناصبتهم العداوة والبغضاء أبداً حتى يؤمنوا بالله وحده، فلنا في إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة، كما قال تعالى:﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَه﴾الممتحنة:٤. وقال تعالى :﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ.أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِين ﴾ الشعراء:٧٧. وقال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾الزخرف:٢٧ . وقال تعالى:﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾الأنبياء:٦٧ . هذه هي ملة إبراهيم التي أمرنا باتباعها، كما قال تعالى:﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران:٩٥ . ولا يرغب عن ملة إبراهيم إلا السفيه، ومن أراد لنفسه السفاهة والخسران، كما قال تعالى:﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَه ﴾البقرة:١٣٠.

ـ مسائل متفرقة متعلقة بموضوع البحث:

١- المسألة الأولى: هل الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة الظاهرة .. أم أنه يوجد فارق بينهما من بعض الوجوه .. ؟!

الجواب: الحمد لله رب العالمين. قد كثر كلام الإخوان حول هذه المسألة .. وبخاصة أن بعض الباحثين قد خاضوا ـ لغاية في نفوسهم ـ في المسألة بغير علم؛ فأفتوا .. فضلوا وأضلوا .. لذا يتعين الجواب على هذه المسألة بشيء من التفصيل، والله المستعان.

فأقول: كل فرد من الطائفة الظاهرة المنصورة هو من الفرقة الناجية ولا يستلزم أن يكون كل واحد من الفرقة الناجية هو من الطائفة الظاهرة المنصورة .. والذي يقرر ذلك، أمران:

أولاً: النصوص الشرعية التي تدل على هذا الفارق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .. كما في قوله تعالى:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾آل عمران: ١٠٤. فهذا خطاب موجه لمجموع الأمة المتمثلة بـ " الفرقة الناجية " بأن ينفر منهم طائفة معينة ومتخصصة . وهو المراد هنا بالأمة . تتفرغ وتتخصص للنهوض بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالنص فرق بين " الفرقة الناجية " وهي مجموع الأمة المعنية بالخطاب، وبين الطائفة المنصورة .. وهم المجموعة من الأمة العامة ينهضون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن كثير في التفسير ١/٣٩٨: يقول تعالى: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون.

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة، وخاصة الرواة؛ يعني المجاهدين والعلماء، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ا– هـ.

فهم خاصة الخاصة .. وهذا يستحيل أن يكون أو يتحقق في كل واحد من الفرقة الناجية الشاملة لمجموع أمة التوحيد .. بما فيهم العجزة .. وغيرهم من الفساق والعصاة ..!

وقال تعالى:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾آل عمران: ١٤٦.

فالربيون هنا هم صفوة الطائفة المنصورة الذين يُجاهدون في سبيل الله، ولا يخشون في الله لومة لائم..!

ومن قال بأن الربيين الوارد ذكرهم في الآية يراد بهم الفرقة الناجية؛ وهم كل من استجاب وآمن من النساء، والشيِّب، وغيرهم .. فقد أخطأ خطأ فادحاً .. لا يليق بمبتدئي طلاب العلم!

وكذلك قوله تعالى:﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾النساء:٩٥.

ففرق الله تعالى بين القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر الذين يدخلون في الفرقة الناجية، وبين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الذين يدخلون في الطائفة المنصورة الظاهرة؛ فهما لا يستويان صفة ومهمة كما أنهما لا يستويان من حيث الأجر والدرجات يوم القيامة، وإن كانا يشتركان بصفة النجاة من العذاب بدليل قوله تعالى:﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ولكن ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾.

وفي الحديث، فقد تقدم معنا قوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمة ظاهرين على الحق .. ". " لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس ..". " لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين ..". " لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم .. " وغيرها من النصوص.

فقوله ﷺ:" من أمتي .. عصابة من المسلمين " تفيد التبعيض؛ أي الطائفة المنصورة .. من الفرقة الناجية الشاملة لمجموع أمة التوحيد والإجابة ..!

ثانياً: من حيث دلالة صفات كل من الطائفة المنصورة والفرقة الناجية .. فالنصوص الشرعية قد ميزت بين صفات الطائفة المنصورة وبين صفات الفرقة الناجية مما يحملنا بالضرورة على القول بأن الطائفة المنصورة شيء آخر زائد عن الفرقة الناجية .. فالفرقة الناجية تتصف بسلامة الاعتقاد وحسن الاتباع، لذلك عندما سُئل النبي ﷺ عنها .. وعن صفاتها، فأجاب بأنها هي التي تكون على " ما أنا عليه وأصحابي ".

بينما الطائفة المنصورة . بدلالة النصوص الآنفة الذكر . هم إضافة إلى صفة سلامة الاعتقاد وحسن الاتباع .. فإنهم يجاهدون في سبيل الله .. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. ظاهرون بالحق على من ناوأهم أو خالفهم .. يصدعون بالحق لا يخشون في الله لومة لائم .. إلى آخر الصفات التي تقدم ذكرها في بحثنا هذا.

وهذه صفات يستحيل أن تتحقق في مجموع أفراد الطائفة الناجية على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم، وقدراتهم .. من الشيوخ والنساء، والولدان، والعوام وغيرهم ..!

ـ خلاصة القول: أن كل فرد من الطائفة المنصورة هو من الفرقة الناجية، ولا يستلزم العكس؛ لاستحالة أن تتوفر صفات الطائفة الظاهرة المنصورة في كل فرد من أفراد الفرقة الناجية .. فلزم القول بالتفريق ولا بد.

الطائفة المنصورة بالنسبة للفرقة الناجية تعتبر الصفوة أو الطليعة التي تتصدر المهام العظام .. وتنوب عن الأمة في الذود عن الحقوق والحرمات.

بينما الفرقة الناجية بالنسبة للطائفة المنصورة، تعتبر القاعدة الشعبية العريضة التي منها تستمد عناصرها ..!

الطائفة المنصورة الفرقة الناجية يشتركان في صفة سلامة الاعتقاد وحسن الاتباع والاقتداء .. ويفترقان في بقية الصفات كما تقدم.

فإن قيل ما الفائدة من هذا التقسيم والتفصيل ..؟!

أقول: أولاً هو نزول عند العمل بنصوص الشريعة التي ميزت بين العالم العامل وبين الجاهل من عوام الناس .. وبين المجاهد وبين القاعد .. وما أعد لكل منهما من الأجر والثواب.

ثانياً: حتى لا يتشبع كل امرئ بما لم يُعط .. فيقول: أنا من الطائفة الظاهرة المنصورة .. وهو في حقيقة أمره لا يعدو أن يكون من الفرقة الناجية .. هذا إذا لم يكن من هذه ولا تلك!

٢ـ المسألة الثانية: أين توجد الطائفة المنصورة، وهل لها مكان محدد وثابت تتواجد فيه ..؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين. ليس للطائفة المنصورة مكان محدد لا تتجاوزه إلى غيره، فحيثما يتواجد مقتضى صفاتها فهي تتواجد .. ولا أدل على ذلك من قبور الصحابة رضوان الله عليهم المنتشرة في أرجاء المعمورة بحسب ما اقتضاه منهم واجب الجهاد في سبيل الله ..!

ولكن الذي يمكن قوله: أن الشام [٢٠٣] لا تخلوا أثراً من وجود للطائفة المنصورة، وذلك للأحاديث والآثار الصحيحة الواردة في فضائل الشام وأهله، والدالة على أن الشام لا تخلو من وجود للطائفة المنصورة، منها:

قوله ﷺ:" لن تبرح هذه الأمة منصورين أينما توجهوا، لا يضرهم من خذلهم من الناس حتى يأتي أمر الله، وهم بالشام ".

وقال ﷺ:" إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ".

وقال ﷺ:" لا يزال أهل الغرب ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ".

قال الإمام أحمد بن حنبل: أهل المغرب هم أهل الشام ..!

وقال ﷺ :" عقر دار المؤمنين بالشام ".

وقال ﷺ:" إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي أكرم العرب فرساً، وأجودهم سلاحاً يؤيد الله بهم الدين ".

---

٢٠٣ المراد بالشام: الشام الكبرى؛ وتضم سورية، وفلسطين، ولبنان، والأردن، حتى تبوك من أراضي الجزيرة العربية.

وعن عبد الله بن عمر ﷺقال: قال لنا النبي ﷺ يوماً:" إني رأيت الملائكة في المنام أخذوا عمود الكتاب فعمدوا به إلى الشام، فإذا وقعت الفتن فإن الإيمان بالشام ".

وعن عبد الله بن حوالة أنه قال: يا رسول الله اكتب لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر على قربك. قال:" عليك بالشام، عليك بالشام، عليك بالشام". فلما رأى النبي ﷺ كراهيته للشام، قال:"هل تدرون ما يقول الله ﷻ ؟ يقول أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي .. ورأيت ليلة أسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤ تحمله الملائكة. قلت: ما تحملون؟ قالوا: نحمل عمود الإسلام، أُمرنا أن نضعه بالشام".

وفي رواية:" عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده ".

وعنه قال، قال رسول الله ﷺ:" ستجدون أجناداً، جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن " قال عبد الله: فقمت فقلت: خر لي يا رسول الله! فقال:" عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه، وليستق من غدره، فإن الله ﷻ قد تكفل لي بالشام وأهله ".

قال ربيعة: سمعت أبا إدريس يحدث بها الحديث، يقول: ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه[٢٠٤].

فجميع هذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الطائفة المنصورة لها وجودها في الشام، وأنه مهما تضاءل أثرها وحجمها إلا أنها لا تعدم كلياً من الشام .. وأن الخير باق في الشام رغم أنف الطواغيت الظالمين!

كما أن في هذه الأحاديث بشارة طيبة لجميع المسلمين وبخاصة منهم أهل الشام: بأن الشام . مهما طال فيها زمن الظلمة والفساد وعربد فيها الطواغيت . لا بد وأنه سيعود إليها مجدها ودورها في قيادة الأمة نحو النصر والتمكين .. وتحرير الشعوب من ربقة عبادة العبيد إلى عبادة الله الواحد الأحد. وما ذلك ببعيد إن شاء الله ..﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾ الإسراء: ٥١.

٣- المسألة الثالثة: هل يلزم أن تكون الطائفة المنصورة مجتمعين في جماعة واحدة، بحيث يكون كل واحد خارج هذه الجماعة ليس من الطائفة المنصورة؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين. رغم أن الغالب في الطائفة المنصورة تعمل بصورة جماعية منظمة كما تقدم، إلا أن هذا لا يلزم أن يكون جميع أفراد الطائفة المنصورة مجتمعين في تجمع واحد وفي قطر واحد، بحيث يعتبر كل واحد خارج هذا التجمع ليس من الطائفة المنصورة.

والذي يقرر ذلك أن الطائفة المنصورة . كما تقدم . لها صفاتها تعرف بها لا بغيرها، فمن توفرت فيه هذه الصفات فهو منها وهي منه سواء تسمى باسمها أو لم يتسم باسمها، وأيا كان موقعه ومكانه ..!

---

[٢٠٤] جميع ما تقدم من أدلة عن فضائل الشام وأهله، مأخوذ عن كتاب " فضائل الشام للربعي "، تحقيق الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، وجميع ما أثبتناه فهو إما صحيح أو حسن .. ولله الحمد.

قال النووي رحمه الله: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض[٢٠٥].

٤- المسألة الرابعة: هل يلزم أن كل من كان من الطائفة المنصورة أن يبقى منها طيلة حياته .. ولا يخرج منها ؟!

الجواب: الحمد لله رب العالمين. العصمة ليست لأحد بعد الأنبياء .. فقد يكون المرء اليوم من الطائفة المنصورة بحكم ما يتحلى من صفات تجعله منها أو قريب منها .. وغداً قد يطرأ عليه من التقلبات والأحوال ما يُخرجه عن صفات الطائفة المنصورة .. وعن كونه واحداً منها .. والعاصم من عصمه الله تعالى وثبته .. نسأل الله تعالى الثبات وحسن الختام.

وعليه نقول: كما أن المرء يقوى إيمانه ويضعف .. بحسب ما يؤتي من الطاعات أو المعاصي والآثام .. كذلك تراه يقترب ويبتعد . وبشكل مستمر . عن الطائفة المنصورة بحسب ما يعتريه من تقلبات أو تغيرات وأوصاف، ومواقف .. تقربه أو تبعده.

٥- المسألة الخامسة: أي الجماعات الإسلامية المعاصرة أقرب إلى الطائفة المنصورة .. أو ينطبق عليها مسمى الطائفة المنصورة؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين. أكثر الجماعات الإسلامية المعاصرة قرباً للطائفة المنصورة المرضية، وينطبق عليها مسمى الطائفة المنصورة .. أكثرها تحلياً والتزاماً بصفات الطائفة المنصورة الآنفة الذكر .. والقارئ الواعي أصبح لديه الميزان الدقيق الذي به يزن الجماعات والأفراد، والأحزاب .. ويعرف مدى قربها أو بعدها عن الطائفة الناجية المنصورة، وذلك من خلال معرفته بصفاتها الواردة في هذا البحث.

وأعتقد أن الطائفة التي تجاهد في سبيل الله في الشيشان وفي أفغانستان هم من الطائفة المنصورة الظاهرة .. إن شاء الله.

٦- المسألة السادسة: كيف نوفق بين كونهم ظاهرين وقاهرين لعدوهم، وبين واقع المسلمين في هذا الزمان ..؟!

الجواب: الحمد لله رب العالمين. نقول لمن يسأل هذا السؤال: أمعن النظر جيداً بما يجري على الساحة الإسلامية، فسوف تدرك أن لهذه الطائفة وجوداً في زماننا وفي كل زمان، فإن خانك بصرك، ولم تر إلا الوجه القاتم من واقع المسلمين، نستسمحك عذراً في أن نقول لك: كذب بصرك، وخاب ظنك .. وصدق رسول الله ﷺ، حين قال:" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ".

---

[٢٠٥] شرح صحيح مسلم:٦٧/١٣.

ولكن الذي يمكن قوله هنا: أن حجم الظهور من حيث الكم والسعة .. وكذلك من حيث نوع الظهور .. قد يتضاءل أو يزيد في زمن دون زمن، وفي مكان دون مكان .. بحيث يظن البعض بأن الطائفة المنصورة لم يعد لها وجود أو أثر .. والحقيقة تكون أنه يجهل واقع المسلمين على وجه التفصيل، وما يجري على الساحة من أحداث ..!

* * *

ـ بشارات بشر بها النبي ﷺ ..ستتحقق على أيدي الطائفة المنصورة:

١- فتح روما عاصمة إيطاليا:

عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حِلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: "مدينة هرقل تفتح أولاً؛ يعني قسطنطينية "[٢٠٦].

قال الشيخ ناصر: و رومية هي روما كما في" معجم البلدان " وهي عاصمة إيطاليا اليوم.

وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمان مائة سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولا بد، ولتعلمن نبأه بعد حين[٢٠٧].

٢- فتح القسطنطينية مرة ثانية:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق[٢٠٨] فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فيما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح[٢٠٩] قد خلفكم في أهلكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام، خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف إذ

---

[٢٠٦] رواه أحمد، والدارمي، والحاكم وغيرهم، السلسلة الصحيحة: ٤.

[٢٠٧] السلسلة الصحيحة: ١/٨.

[٢٠٨] موضعان بقرب حلب.

[٢٠٩] المراد به المسيح الدجال، كما جاء ذلك صريحاً في رواية ثانية.

أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فأمهم،فإذا رآهم عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده[٢١٠] فيريهم دمه في حربته " مسلم.

ـ بعض دلالات الحديث:

١– هذا الفتح للقسطنطينية المشار إليه في الحديث .. هو غير الفتح الأول الذي تم على يد السلطان محمد الفاتح .. فهو فتح ثانٍ؛ بدليل العلامات والأحداث التي تحصل إثر فتح القسطنطينية، والتي لم تحصل في الفتح الأول الذي تم على يد محمد الفاتح.

٢– وهذا من لوازمه أن القسطنطينية سيعود حكمها ووصفها إلى حكم ووصف دار الحرب .. بعد أن فُتحت على يد السلطان محمد الفاتح .. وقد وقع ذلك بعد الانقلاب العلماني الذي قاده الطاغية " أتاتورك " .. واستطاع من خلاله أن يحول الدولة التركية من دولة إسلامية إلى دولة علمانية كافرة تحارب الله ورسوله .. ولا تزل هي كذلك إلى اليوم!

٣– وصول الروم إلى دابق . موضع قرب حلب . يكون عن طريق تركيا؛ لأنه لا يوجد طريق يمكن للروم أن يسلكوه إلى ذلك الموقع إلا عن طريق تركيا لقرب حلب منها .. وهذا يدل على أن تركيا يومئذٍ تكون في مصاف الروم .. وتكون مع أعداء الأمة ضد الأمة .. كما هي عليه اليوم!

٤– دل الحديث أن الجزيرة العربية .. وبخاصة المدينة المنورة .. لن تكون خاضعة أو تابعة لأي سلطة أو سياسة خارجية معادية للأمة .. وأن أمراءها يومئذٍ تكون قراراتهم الهامة والمصيرية بأيديهم .. لا تُملى عليهم من الخارج ومن غيرهم .. وهذا ظاهر في رفضهم لطلبات الروم . الممثلة في أمريكا وأوربا اليوم . بأن يخلوا بينهم وبين المسلمين في الشام ..!

٥– دل أن أمريكا ومعها دول الغرب سيؤول أمرها . ولو بعد حين بإذن الله . إلى الضعف والهوان إلى حدٍّ لا تستطيع معه أن تمنع مسلمي المدينة من نجدة إخوانهم في الشام .. مما يترتب عليه فتح القسطنطينية من جديد، وسقوطها بأيدي المسلمين!

٦– وهذا يعني أن هذا الاحتلال والتواجد الضخم للقوات الأمريكية والغربية في الجزيرة العربية .. سيزول ولو بعد حين .. وما ذلك ببعيد إن شاء الله.

٧– أن المسلمين . وبخاصة مسلمي الجزيرة والشام . ستعود إليهم وحدتهم على أساس رابطة العقيدة والدين .. وأن هذه الفرقة السائدة .. والحدود المصطنعة اليوم لا بد أنها ستزول .. يظهر ذلك في تلاحم مسلمي أهل المدينة مع إخوانهم في الشام .. وقتالهم في صف واحد ضد أهل الكفر والشرك من الروم ..!

٨– أن الشام ستكون مهبط عيسى عليه السلام .. وأنها المنطلق للفتح والتحرير، ومواجهة الملاحم الكبرى مع أمم الكفر .. وهذا يعني أن الشام سيعود إليها مجدها ودورها الصحيح الريادي في نصرة هذا

---

[٢١٠] أي يقتله الله بيد عيسى ابن مريم عليه السلام.

الدين .. وأن هذا النظام الطائفي الحاقد البغيض الحاكم في الشام اليوم .. ما هو إلا سحابة سوداء تظلل سماء الشام .. لا بد أنها ستنقشع وتزول، ولو بعد حين.

٩- قوله ﷺ " قد علقوا سيوفهم بالزيتون .." هل هو إشارة إلى زوال الأسلحة النووية المتطورة .. وعودة الناس من جديد إلى سلاح السيف .. أم أن السيوف أطلقت ويُراد منها مطلق السلاح .. الله تعالى أعلم!

هذه بعض الدلالات والبشارات الطيبة التي يدل عليها هذا الحديث.

٣- قتال اليهود والانتصار عليهم:

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم[٢١١]! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد[٢١٢] فإنه من شجر اليهود " مسلم.

٤- غزوة الهند:

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال:" عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار! عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام "[٢١٣].

قلت: والحديث فيه بشرى خير لإخواننا المجاهدين في الكشمير .. نسأل الله تعالى لهم النصر والثبات.

٥- قيام خلافة راشدة، على منهاج النبوة:

قال رسول الله ﷺ:" تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت"[٢١٤].

---

[٢١١] وليس يا عربي أو يا كردي، أو يا تركي .. وإنما يا مسلم .. يا موحد .. والحديث فيه أن التحرير سيتم على أيدي المؤمنين الموحدين .. وليس على أيدي زنادقة العلمانية !

[٢١٢] ما أكثر زراعة اليهود في فلسطين لهذا النوع من الشجر .. شجر الغرقد!

[٢١٣] رواه أحمد والنسائي وغيرهما، السلسلة الصحيحة: ١٩٣٤.

[٢١٤] رواه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة:٥.

قلت: قد مضت فترة "الملك العاض"، وهي فترة العباسيين ومن بعدهم من العثمانيين، ونعيش الآن مرحلة"الملك الجبري" القهري، وهي في مرحلة أفول إن شاء الله .. ولن يكون بعدها إلا مرحلة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وما هي ببعيدة إن شاء الله.

٦- دخول الإسلام كل بيت في العالم ..

قال رسول الله ﷺ:" إن الله زوى . أي جمع وضم . لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها "[٢١٥].

وقال ﷺ:" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر "[٢١٦].

قلت: مثل هذا الانتشار والتوسع لم يتحقق بعد .. وهو كائن بإذن الله تعالى.

وقال ﷺ:" بُعث بجوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي ".

قال أبو هريرة: فذهب رسول الله ﷺ، وأنتم تنتشلونها. متفق عليه.

٧- نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض:

فيدق الصليب، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمنه الملل كلها إلا ملة الإسلام والتوحيد .. كما في الحديث عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال:" ليس بيني وبينه نبي . يعني عيسى . وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين[٢١٧]، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب[٢١٨]، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[٢١٩]، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة يتوفى فيصلي عليه المسلمون[٢٢٠]".

* * *

---

[٢١٥] رواه مسلم وغيره، السلسلة الصحيحة:٢.

[٢١٦] رواه ابن حبان في صحيحه، السلسلة الصحية:٣.

[٢١٧] ممصرتين: ثياب فيها صفرة خفيفة.

[٢١٨] أي يكسره.

[٢١٩] فهو لا يقبلها من الكفار، فإما إسلام أو قتل وقتال.

[٢٢٠] صحيح سنن أبي داود: ٣٦٣٥.

ـ الخاتمة:

كثير هم الذين يسألونني عن الحزب أو الجماعة التي أنا منها وأكثر سوادها ..؟!

فها قد جاءهم الجواب .. فجماعتي ـ التي أنا منهم وهم مني .. أوالي من والاهم وأعادي من عاداهم ـ هي الطائفة الظاهرة المنصورة بصفاتها الواردة في هذا الكتاب .. أينما كانوا .. ومن كانوا .. وإن لم يسبق لي بهم معرفة أو اتصال.

كل حزب أو جماعة أواليها بقدر ما فيها من صفات وأخلاق الطائفة الظاهرة المنصورة .. وأجافيها بقدر ما تبتعد عن صفات وأخلاق الطائفة الظاهرة المنصورة .. أياً كانت هذه الجماعة .. وكان اسمها .. هذا هو منهجي .. وهذه هي طريقتي .. منذ أن التزمت .. ولا أعرف متى التزمت .. والفضل في ذلك كله لله ﷻ وحده.

فأنا لا أزكي نفسي على الله تعالى فأزعم أني واحداً منهم .. فهذا شرف كبير لا أتجرأ عليه .. ولكن أزعم أني أحبهم .. وأحب من أحبهم، وأعادي من عاداهم .. وأذود عنهم وعن أعراضهم .. وأدعو إلى طريقتهم ومنهاجهم .. راجياً الله تعالى ـ بمنه وكرمه ـ أن يجعلنا منهم .. وأن يحشرنا معهم وفي زمرتهم يوم القيامة ..!

أما أنت أخي المسلم .. فهذه صفة الطائفة الناجية المنصورة التي يجب أن تكثر سوادها بين يديك .. فاحرص أن تكون واحداً منهم .. فإن قصر بك الطريق .. وضعفت الهمم عن طلب المعالي .. فلا تعجز عن أن تخلص لهم في النصح والدعاء ما استطعت ..!

واحذر أشد الحذر أن تعين عليهم الطواغيت الظالمين ولو بشطر كلمة، فيحبط عملك، وتخسر دنياك وآخرتك وأنت تدري أو لا تدري ..!

وفي قصة "بلعام" الذي انسلخ من آيات الله بعد أن آتاه الله العلم .. عبرة لمن أراد أن يعتبر .. كما قال تعالى فيه:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لأعراف:١٧٥-١٧٦.

كما أحذرك أخي المسلم.. فرق الضلال والأهواء والبدع ـ وما أكثرها في زماننا ـ أن تقع في شباكها، أو تكثر سوادها بقول، أو فعل، أو أن تجادل عنها .. أو أن تقف في ظلها وتحت راياتها .. فتَهلك وتُهلك من خلفك وتضل وتُضل من يحسنون الظن بك، ويرون فيك القدوة والمثل ..!

وفي حال عُرض عليك الانضمام إلى حزب أو تجمع ما، فبين يديك " صفة الطائفة المنصورة .. " الذي هو بمثابة الميزان أو المقياس الذي يمكنك من معرفة الأمور على حقيقتها، ومدى قرب ذاك الحزب أو

التجمع من صفات الطائفة المنصورة التي يجب عليك أن تكثر سوادها، فإن وجدت خيراً يرضاه الله ورسوله تعيَّن عليك موالاته ونصرته، وتكثير سواده .. وإن وجدت غير ذلك تعين عليك معاداته ومجافاته، والبراءة منه .. رضي من رضي وأبى من أبى.

أسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب والإخلاص في الأمور كلها، وأن يجعلنا . بمنه ورحمته . من عباده المنصورين المرضيين، الناجية من عذابه يوم نلقاه ، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى اللّه على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم . بفضل الله تعالى ومنته . الانتهاء من مراجعته، وتنقيحه، وإضافة ما لزم إضافته .. صبيحة يوم الثلاثاء بتاريخ ١٤٢٢/١١/٢٣ هـ، الموافق ٢٠٠٢/٢/٦ م.

كتبه الفقير إلى عفو ربه ورحمته

عبد المنعم مصطفى حليمة

أبو بصير الطرطوسي

* * *

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	٢
مقدمة	٣
وجود الطائفة المنصورة	٥
شبهة ورد	٧
صفات الطائفة المنصورة	٨
الصفة الأولى: الاتباع لا الابتداع، والاهتداء بفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة	٨
مناقشة القول بأن الخلف أحكم من السلف	١٦
الصفة الثانية: الجهاد في سبيل الله	٢١
صفات فرعية تتفرع عن هذه الصفة	٢٢
استمرارية وجود الطائفة المنصورة المجاهدة	٢٢
مضي الجهاد .. واستمراريته	٢٣
مناقشة القول بأن لا جهاد إلا مع خليفة أو إمام عام	٢٧
الإعداد والأخذ بأسباب القوة	٢٩
إخلاص الجهاد في سبيل الله	٣٠
القيام على أمر الله	٣١
شبهة تقسيم تغيير المنكر إلى ثلاثة أقسام	٣٢
شبهة ورد	٣٦
الطائفة المنصورة تعمل بصورة جماعية ومنظمة	٣٦
شرعية البيعة الاستثنائية	٤١
معنى البيعة .. والأدلة على شرعيتها	٤١
تنبيه حول النزعة الفردية في العمل والجهاد	٤٩
الصفة الثالثة: يوالون ويُعادون في الله	٥٠
صور من الولاءات الجاهلية الواسعة الانتشار	٥٢
الولاء الحزبي	٥٢
موالاة الشيخ أو العالم لذاته	٥٣
الولاء الوطني	٥٧
الولاء القومي	٦١

الولاء القبلي العشائري	٦٣
انعقاد الولاء والبراء على أساس الانتماء للحاكم أو السلطان	٦٤
انعقاد الولاء والبراء على أساس الانتماء للإنسانية	٦٥
انعقاد الولاء والبراء على أساس المصلحة أو المنفعة المادية	٦٥
براءة الطائفة المنصورة من جميع صور الولاء التي تُعقد في غير الله	٦٦
تنبيه هام	٦٧
كلمات مختارة لسيد قطب في الولاء والبراء	٧٠
الصفة الرابعة: الشمولية	٧٣
فقه الواقع	٧٨
شرعية فقه الواقع وأهميته	٧٨
حكم فقه الواقع	٨١
الصفة الخامسة: الوسطية والاعتدال	٨٤
خصائص الوسطية: منها الخيرية والعدل	٨٤
ومنها: الاستقامة على منهاج النبوة	٨٥
ومنها: التيسير واجتناب الغلو والتشدد	٨٧
ومنها: التوسط بين أمرين كلاهما مذموم	٩٠
الصفة السادسة: العلم	٩٢
الصفة السابعة: الصبر والثبات	٩٤
مسائل متفرقة متعلقة بموضوع البحث	١٠٠
المسألة الأولى: هل الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة	١٠٠
المسألة الثانية: أين توجد الطائفة المنصورة	١٠٢
المسألة الثالثة: هل يلزم أن تكون الطائفة المنصورة في جماعة واحدة	١٠٣
المسألة الرابعة	١٠٤
المسألة الخامسة: أي الجماعات الإسلامية المعاصرة أقرب إلى الطائفة المنصورة	١٠٤
المسألة السادسة	١٠٤
بشارات بشر بها النبي ﷺ ستتحقق على أيدي الطائفة المنصورة	١٠٥
خاتمة	١٠٩
الفهرس	١١١